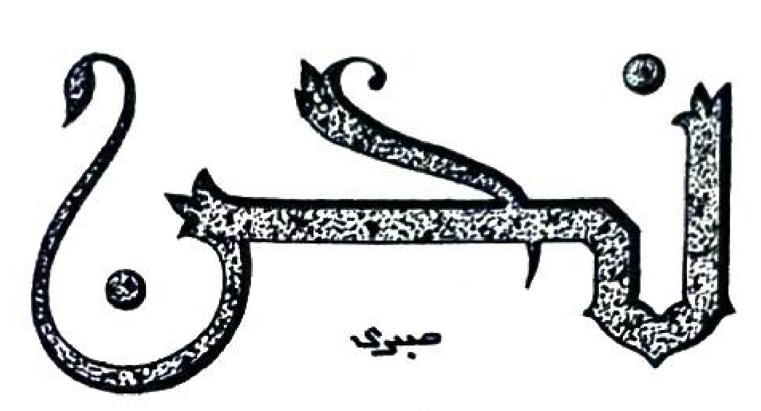


صبري

مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً .

سورة الأحزاب

(مدنية)

إذا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً فَلْيُتْقِنْهُ

حديث

بقلم

عبد الرزاق الحصان

الطبعة الثانية

﴿ ثمن النسخة درهمان ﴾

مطبعة التفيض الاهلية ـ بغداد

١٣٥٩ — ١٩٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الى من يدين بعروبة العراق منذ زمن حمورابي

الى من يدين بعروبة العراق منذ زمن الاسكندر المكدوني

الى من يدين بعروبة العراق منذ زمن الفتح العربي المبين

الى من يعتقد بان العراق العربي وحدة متماسكة لا تنفصل عن البلدان العربية .

الى دعاة الوحدة العربية

أقدم رسالتي هذه

بغداد في ٥ المحرم سنة ١٣٥٤

عبد الرزاق الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

١

في سنة ١٩٣٣ للميلاد نشرت رسالة سميتها (العروبة في الميزان) ختمتها بالفقرة الآتية :

وان الروح العربية والشعب العربي والامة العربية من المخلوقات السرمدية التي لا تفنى ولا تبيد .

وقد خلقها الله هكذا وقد صانهـا الله من ان يعتريها زوال وان العروبة لا ترضى بان يكون لها من دولتها كما للبقعة الرومانية من اسم (رومانيا) .

وعهدي بك ايها العربي مشاركتي في الحس . وعهدي بك ايها العربي مشاطرتي في الرأي . وعهدي بك ايها العربي تمد الى العروبة يد العمل المثمر قبل ان تناجيك وتلبيها قبل ان تناديك ولكن العمل المثمر لا يكون بلا فكر يسبقه وخطة ترسم له وسوف اقدم الخطة العربية والمنهج القومي لفتى العالم (عربي المستقبل) في رسالة اخرى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بهذه العبارة ختمت الرسالة ولم تكن الرسالة في مضامينها ومراميها سوى (نفثة مصدور) .

فكان الجواب الى من اخواني عرب الفرات الاوسط ان ثاروا ثورة نمت على عدم اكتراثهم بالمصير القومي فقدمت الى المحكمـة وحكم على الرسـالة بالمصادرة وعلى كاتبها بالسجن والغرامة .

فوضت امري الى الله وقضيت المدة ودفعت الغرامة لا لذنب اقترفته ولا

لجرم احدثته ولا لسيئة عملتها لقومي العرب الا جهل قومي العرب بتأريخهم المشرف .

جعلت في السجن القرآن الكريم شافعي - ان كنت مذنبا - والسيرة النبوية سميري فكنت اقرأ القرآن الكريم وكنت اتلو السيرة النبوية فاخذتني الافكار الى عهد الجاهلية الاولى والثانية كما حدثنا بهما القرآن الكريم ومرت بي الحوادث التي ختم صفحتها القرآن الكريم وانشرح صدري بالدروس الاسلامية كما وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام .

خرجت من السجن وانا افكر فيما جرى فرأيتني اعرف نفسي ولا اعرف مصيري واقصد بكلمة مصيري مستقبل الامة العربية التي انا فرد منها فتركت تجارة الخيل بين العراق والهند التي كنت اتاجر بها وبعبارة صريحة تركتني التجارة ذاتها لانني فقدت ما املكه من الخيل لما القيت في السجن فذهب كل ما املكه من المال المتنقل .

اخذت اقلب الامر في كل وجوهه فما وجدت له مخرجا سوى المثابرة على نشر تأريخ العرب القومي بطريقة الدعاية .

ففي سنة ١٣٥٢ للهجرة طبعت الرسالة الاولى من (عربي المستقبل) فكان من الحكومة يومئذ ان توقف نشرها وكان عذرها ان كل شيء يصدر من قلمك يعد غير ملائم للسياسة المتبعة في العراق !

والرسالة المذكورة لم تكن سوى تذكير العربي بماضيه الحافل بالمجد والسؤدد سواء أكان في القادسية ام في اليرموك ام في نهاوند او فتح الفتوح وكان القصد منها ان يعرف العربي نفسه ويعرف ماضيه المشرف ويعرف ان له صلة بذلك الماضي المجيد . ولان القبائل العربية في الفرات الاوسط متسلسلة من ابطال الايام العربية الكبرى . ولان القبائل العربية هذه من ابناء الذين فتحوا السند ووصلوا الى اسوار الصين في الشرق والى اسوار القسطنطينية في الشمال والى جنوب فرنسة في الغرب . ولان القبائل العربية هذه من اولاد الذين جعلوا البحر الابيض المتوسط بحرا عربيا صرفا واطلقوا عليه

(البحر الشامي) ولانها من اولاد الذين ذهبوا الى الصين بسفنهم فوصلوا الى مقاطعة (كانتون) .

ذهب زمن طويل في المناقشة حول الرسالة هذه مع رجال الحكم لاخراجها فكانت الجهود تذهب سدى فرأيت طريقة اخرى لتعليم الجمهور العربي وذلك بأن اعددت عناوين لعشرين موضوعا قوميا فكتبت المواضيع ونشرتها فيمختلف الصحف وكان نصيب (جريدة الاستقلال) القسم الاكثر منها محاولا في ذلك استمالة رجال الحكومة من جهة واستجلاب العامة من العرب الى تأريخهم القومي المشرف من جهة اخرى ولما رأيت ان ذلك لم يجد نفعا عند رجال الحكومة اخذت في نشر مقالات ضافية في شتى المواضيع القومية العربيـة لاعدها رسالة اخرى (وهي الرسالة التي بين يديك) .

لم تؤثر كتابة المقالات الاولى في الصحف شيئا ولم تحدث في (المجتمع الخفي ضد العروبة) حركة ما كما احدثته المقالات الاخيرة فقد نشرت دويا في المجتمع البغدادي فأخذت (اليد الخفية) تنشر بين الناس شيئا ينم على قلقها من متابعة النشر حتى بلغ القلق دوائر الحكومة المختصة فاستجوبتني عما يشاع من اني احاول احداث ثورة في البلاد ! ...

لم تكتف الدائرة المختصة بما نشرته جريدة الاستقلال يومئذ دفاعا عني بل اخذ احد فروعها مني عهدا خطيا بأن لا صحة لما يشاع عني وانما الامر كله ناشيء عما اكتبه في جريدة الاستقلال فيالمواضيع القومية العربية فحسب.

اخذت اثابر على الكتابة والنشر في مواضيع رسالتي هذه وجمعت ما نشر من الرسالة الاولى فطبعته بعنوان (بين الامس والغد) كذكرى للكشاف العراقي في سنة ١٣٥٣ للهجرة .

لم تستطع الحكومة يومئذ منع نشره في الاسواق لان ست عشرة مقالة منه نشرت في الجرائد كما ان وزارة المعارف اشترت قسما منه لمكتباتها .

بقيت الرسالة الاولى سجينة طيلة تلك الوزارة والتي تلتها الى ان أتت وزارة ثالثة فرفعت عنها الحجر واشترتوزارة المعارفايضا قسما منها لمكتباتها.

لم اقصد بكتابة ما تقدم سوى تسجيل صفحة من صفحات العراق للاجيال الآتية .

لانني اعتقد ان من الخيانة للتأريخ القومي ان نكتم شيئا عنه .

ولانني اعتقد ان الماضين في العراق كانوا اشجع منا حيث سجلوا كل شيء سوآء أكان عاما ام خاصا .

ولانني اعتقـد ان الجيل الآتي سوف يفكر كثيرا لمعرفة جمود جيلنـا الحاضر واسباب خيبته المنكرة



ان العقبة الكبرى في مجتمعنا الحالي ادراكه الماضي ادراكا سقيما لا يمت الى الحقيقة بشيء .

وان الطامة الكبرى هي ان العربي الحاضر يجهل الجزيرة العربية وما حوت من الاسرار في جاهليتها وما انطوت تلك الاسرار على عوامل النشوء والبعث القومي الذي تجلى في الحركة الاسلامية .

فالمجتمع العربي الحاضر اشبه بطفل الوزير الناشيء في السجن وذلك ان وزيرا اعتقله سلطانه ـ كما اعتقل الشعوبيون الشعب العربي في العراق ـ ومكث في السجن سنين ربى فيها ابنه في ذلك المحبس فلما ادرك وعقل سأل عن اللحم الذي كان يتغذى به فقال له ابوه : هذا لحم الغنم !

فقال : وما الغنم ؟

فيصفها له ابوه بشياتها ونعوتها فيقول : يا أبت تراها مثل الفار ؟

فينكر عليه (الاب) ويقول : اين الغنم من الفأر وكذا في لحم الابل والبقر اذ لم ير (الطفل) في محبسه من الحيوانات الا الفـأر فيحسبها كلها ابنـاء جنس الفأر . (١)

هكذا شأن مجتمعنا العربي في وقتنا هذا الذي طغت فيه موجة الشعوبيين منذ مئات السنين فقيدوا فكره وحصروا تفكيره فهو لا يدري انه فتح الفتوح الجسام وهو لا يدري انه هو الذي عناه الشاعر بقوله :

---

(١) ابن خلدون ج ١ ص ١٥٢ .

والجيش باسم ابيهم يستهزم

لندع كل هذا ولنقدم امام اخينا العربي - من اى القبائل كان - صورة مصغرة للنهضة الادبية والفكرية فى الجزيرة العربية وما لتلك النهضة من الاثر المحمود فى اذكاء الشخصية العربية التى كانت محبوسة فى جزيرتها فصيرت من العرب اشخاصا وضعهم المؤرخ الانكليزى (جبن) فى مصاف آلهة الاغريق .

كان فى الجزيرة العربية عدة اسواق للتجارة والادب وفض النزاع الذى يحدث بين القبائل وغير ذلك وكان لنا فى العراق سوق الابلة وسوق الحيرة وسوق بقة وسوق الانبار وكذا سوق بغداد فكانت هذه الاسواق نواة صالحة لبروز الشخصيـة العربيـة بمظهرها المعلوم فى اليرموك والقادسية ونهاوند وخراسان واذربيجان والختل وكاشغر والسند وارمينية وفى اسوار القسطنطينية وشمال افريقية ووسط فرنسة حيث كانوا يفتشون فى تلك الاسواق عن اعز العرب وناهيك بها من اداة لتشجيع الفرد العربى للاحتفاظ بشخصيته والاعتناء بها والعمل لرفع مستواها .

فقد ذكر المرزوقى عند البحث فى سوق عكاظ ما يأتى : كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيد والحلة الحسنة والمركوب الفاره فيقف بها وينادى عليه ليأخـذه اعز العرب يراد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه ويحسن صلته وجائزته . (١)

ان هذه الحادثة التى ذكرها لنا المرزوقى فى كتابه القيم تنبىء : ان الامة العربية كانت تشعر بشىء وانها كانت تفتش عن شىء وانها كانت تعد العدة لان تظهر للوجود بمظهر (الامة الكاملة) باشخاصها الكمل ولهذا يذكر المؤلف نفسه ما يأتى : «فى سنة خمس وثلاثين من عام الفيل وذلك قبل المبعث بخمس سنين حضر السوق من نزار واليمـن ما لم يروا انه حضر مثله فى سـائر السنين » . فلنتساءل جميعا عما دار وحدث هناك ؟

---

(١) ج ٢ ص ١٦٥ .

اليست هذه ترينا استعداد الامة العربية للقيام بعمل كبير ؟

اليست هذه ترينا ان العرب اخذوا عدتهم للقيام بحركتهم الكبرى ؟

ولنأت الآن الى الحركة الاسلامية لندرس صلتها بالماضى ونعنى صلتها بالجاهلية وآدابها وعنعناتها .

فقد روى ان اوس بن الصامت الذى كان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وكان فاقد البصر قال لزوجته وقد راجعته فى شيء فغضب فقال لها : انت على كظهر امى وكان ذلك فى زمن الجاهليـة طلاقا اى كالطلاق فى تحريم النسـاء ثم راودها عن نفسها فقالت : كلا لا تصل الى وقد قلت ما قلت حتى اسأل رسول الله عليه وسلم . وفى لفظ انه لما قال لها : انت على كظهر امى اسقط فى يده وقال : ما اراك الا حرمت على انطلقى الى رسـول الله فاسأليـه فدخلت عليه فاخبرته فقال لها : ما أمرنا بشيء من امرك ما اراك الا قد حرمت عليه .... فانزل الله عليه آية (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) فقال لها : (مريه فليحرر رقبة) فقالت والله ما له خادم غيرى فقال : (فمريه فليصم شهرين متتابعين) فقالت : والله انه لشيخ كبير ... الى آخر الحديث [1] الذى يرينا جليا احتفاظ الاسلام بتقاليد الجاهلية ما لم يأت شيء ينقضه وقد كان طلاق الظهار فى الجاهلية اشد الطلاق واحرم الحرام اذا ظاهر الرجل من امرأته لم يرجع ابدا .

هذا ما جرى فى المدينة المنورة زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فلننظر الآن ما جرى فى الكوفة زمن عثمان فى سنة ٣٠ للهجرة .

فقد روى ان أبا شريح الخزاعى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول من المدينة الى الكوفة ليدنو من الغزو فبينا هو ليلة على السطح اذ استغاث جاره فاشرف فاذا هو بشباب من اهل الكوفة قد بيتوا جاره وجعلوا يقولون له : لا تصح فانما هى ضربة حتى نريحك فقتلوه فارتحل الى عثمان ورجع الى المدينة ونقل اهله ولهذا الحديث حين كثر احدثت القسامة واخذ

---

(١) شذرات الذهب ج ١ ص ١٨ .

يقول ولى المقتول ليعظم الناس عن القتل عن ملاء من الناس يومئذ . (١)

ترينا هذه الحادثة العمل بنظام الجاهلية وكانت القسامة فى الجاهلية حجازا بين الناس من حلف على يمين صبرا أثم فيها أرى عقوبة من الله ينكل من الجرأة على المحارم فكانوا يتورعون عن ايمان الصبر ويخافونها فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اقر القسامة . (٢)

أتينا لك بهذين المثالين لنريك شدة ارتباط الحركة الاسلامية بالعنعنات العربية التى سبقتها ونريك ان الحوادث التى تلتها والتى تسمت بالحركة الاسلامية كانت صورة من صور (التطور) البشرى ولهذا لما انتصر النبى صلى الله عليه وسلم على قريش وفتحت مكة المكرمة دانت العرب للاسلام واتت القبائل من كل الوجوه الى الحجاز فسمى العام التاسع للهجرة بعام الوفود عملا بالتقاليد العربية التى تحتم الانقياد للعظيم النبيل .

وانا لو درسنا الحركة الاسلامية فى المدينة المنورة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تجلى لنا مقصده صلى الله عليه وسلم وما كان يرمى اليه وذلك احداث دولة عربية كبرى تقضى على دولتى الفرس والروم معا .

فقد اعتنى بالعائلة التى هى اساس المجتمع كما كان الاحتفاظ بتكوينها مألوفا زمن الجاهلية ومن المألوف قولهم : اذا تزوجت امرأة من العرب فانظر الى اخوالها واعمامها واخوتها .

واعتنى بتعليم الاولاد الفروسية كالرمى وركوب الخيل ولهذا اعطوا لقب (الكامل) لمن جمع بين معرفة الكتابة والرمى والعوم .

---

(١) الطبرى ج ٥ ص ٥٩ .

(٢) الديات ص ٤٤ .

يرى البيقهى ج ٢ ص ٤٩ ان الوليد بن المغيرة اول من قضى بالقسامة فى الجاهلية وانه اول من خلع نعله لدخول الكعبة وانه اول من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية وانه اول من قطع فى السرقة فى الجاهلية واقر ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونقل ابن أبى الحديد عن الزبير : ان أبا طالب اول من سن القسامة فى الجاهلية فى دم عمر بن علقمة ثم اثبتتها السنة فى الاسلام . ج ٣ ص ٤٦١ .

واعتنى بتعليم اهل المدينة الكتابة حيث جعل فدآء الاسير تعليم عشرة من المسلمين .

وكانت العرب تميل الى سكنى البوادى ويرون التحضر ذلة وهذه العادة لا تساعده على انشاء انبراطورية عربية تقوم على اشراك الكل فى العمل وهم فى بدئه وهم فى حاجة الى التعليم وهم فى حاجة الى تدريبهم للادارة لهذا كان (التعريب بعد الهجرة) من الكبائر والتعريب ان يعود الشخص الى البادية ويقيم مع الاعراب بعد ان كان مهاجرا الى المدينة وكان من رجع بعد الهجرة الى موضعه من غير عذر يعدونه كالمرتد . (١)

وكان يعطى اهمية كبرى لارشاد قومه وتعليمهم فى المدينة حتى قال عند رجوعه من احدى غزواته : (رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) ويقصد بذلك (الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

وكان يحرض قومه على الفروسية وتعليم فنون الحرب كالدعاية وغير ذلك ومن قوله : (نصرت بالرعب من مسيرة شهر) .

ومن قوله : (نصرت بالرعب وجعل رزقى تحت ظل رمحى) .

---

(١) من المؤسف ان مؤسساتنا الحكومية لا تشجع على ربط الثقافة العامة الحاضرة بالماضى المجيد فهذه مدرسة الحقوق تعتنى بدرس (الحقوق الادارية) كما اخذناها من اوروبا ولكنها لا تعتنى بدرس(الادارة العربية) او ماكان يسمونه (الاحكام السلطانية) التى تبعث بالنشء العراقى روح الفتح والطموح خذ مثلا قسمة الفيء والصدقة فان الدولة العربية تقول :

واهل الصدقة من لا هجرة له ولا هو من المقاتلة عن المسلمين ولا من حماة البيضة.

واهل الفيء ذو الهجرة : الذابون عن البيضة والمانعون عن الحريم والمجاهدون للعدو .

وكان اسم الهجرة لا ينطلق الا على من هاجر من وطنه الى المدينة طلبا للاسلام ثم سقط حكم الهجرة بعد الفتح وصار المسلمون مهاجرين واعرابا فكان اهل الصدقة يسمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابا ويسمى اهل الفيء مهاجرين (الاحكام السلطانية للحنبلى ص ١٢٢) .

وكان لكثرة اهتمامه بشؤون قومه العرب لا ينام قلبه وان كانت عيناه تنامان (كما قال) .

وبعد هذا وذاك جعل نصب عيني قومه العرب : لا كسرى ولا قيصر بعد اليوم .



أتى بعده (عمر) ومشى مشيته الكاملة فقال : انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فيه من لم يعرف الجاهلية ليربط الحركة الاسلامية بما قبلها وليجعلها صورة من صور التطور القومي .

ثم ارسل الجيش الى القادسية قائلا لهم : سيروا الى الارض التي وعدكم الله بها فكتب الله لهم الفتح واستولوا على الايوان فبنى لهم مدينتين البصرة والكوفة وارسل الى كل منهما عشرة من الانصار كي يفقهوا اهلها ليجعلهم سادة . ومن قوله : تفقهوا قبل ان تسودوا .

وحاول عمر الاكتفاء بذلك لو لم يجهز له (يزدجرد) جيشا في نهاوند عقب مؤتمره الشهير في العام الحادي والعشرين فوقف عمر ازآء يزدجرد فكانت نتيجة تلك الوقفة ان بنى (عربي تميمي) كان يقطن وقومه (بجبل سنام) بالبصرة زمن الجاهلية قصرا في مرو الروذ يسمى (قصر الاحنف) .(١)

تمركز العرب في العراق فاتاه رجل الفضيلة (علي بن أبي طالب) فكان مثالا للخلق الكامل للامة العربية وبذل قصارى جهده لتثقيف العراقيين . ولو درسنا نوعا من الانظمة الموجودة الآن في ارقى دولة حاضرة لما رأيناها تتعدى ما كان عند (علي بن أبي طالب) من الخلق الرفيع والرأي العالي حيث بنى (سجنا) في العراق ولم يسمه باسم ينم على الاهانة والتعذيب في بدء الامر لانه يراه اداة تثقيف وتعليم فجعله من قصب وسماه (نافعا) وكان غير مستوثق البناء

---

(١) انظر الخارطة في ربيعة العراق القسم الثاني

فنقبه اللصوص وهربوا منه فهدمه وبنى (المخيس) لهم من مدر . [١]

وتأريخ على بن أبى طالب فى العراق فتح لنا صفحة من صفحات العرب الادارية فقد كان عندنا نظام يسمى (المظالم) وهو قود المتخاصمين الى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة وهذا النظام لم يحتج اليه الخلفاء سوى (على) لاحتياجه الى فضل صرامة فى السياسة وزيادة تيقظ فى الوصول الى غوامض الاحكام فكان اول من سلك هذه الطريقة . [٢]

وأتى بعد ذلك (زياد) وكان فى بدء امره تلميذ المغيرة بن شعبة فتلقى دروسه منه وكان من تلك الدروس : ارم الغرض الاقصى ودع عنك الفضول. ثم صار تلميذا لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فتعلم الفضيلة منه فصار كأنه الذى عناه الشاعر بقوله :

ينام باحدى مقلتيه ويتقى ... باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

او كما قال الآخر :

بصير باعقاب الامور برأيه ... كأن له فى اليوم عينا على غد

وقد درس حالة العرب بالعراق درسا وافيا لانه قدم العراق مع الجيش الفاتح ثم تولى الادارة فى البصرة فمقاطعة فارس وشاهد الاضطرابات التى حدثت فى الكوفة من كثب فكان قريبا من المؤآمرة التى دبرت لقتل صناديد قريش ومنهم (على بن أبى طالب) رضى الله عنه كما انه علم بان اهل الكوفة كاتبوا سرا معاوية فى امورهم واتخذوا عنده الايادى [٣] فى حياة رجل الفضيلة (على بن أبى طالب) لهذا كان من الرجال الكمل او بعبارة اخرى كان اكمل ما يكون من الرجال .

---

(١) تاج العروس . ومن الغريب انا وجدنا رجلا اندلسيا استعمل كلمة (الثقاف) للسجن (ازهار الرياض ج ١ ص ٢١٧) .

(٢) الاحكام السلطانية للماوردى وللحنبلى .

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٩٥ .

جاء دور زياد السياسي في العراق فكانت سياسته مضرب الامثال (١) وكان من جملة اعماله السياسية في العراق انه لما خرج عليه قريب الازدي وزحاف الطائي بالبصرة في سنة ٥٣ للهجرة استحصل امر معاوية باجلائهم فسير الخارجين عليه الى مصر وكانوا نحوا من ٢٣٠ شخصا فسمي منزلهم في مصر بسويقة العراقيين . (٢)

وكانت لزياد وصية اشتهرت في يومها بين الناس وقد صدرت من رجل عربي عراقي نالت استحسان عبدالملك بن مروان ملك العرب في الشام فكتبها بيده وامر الناس بحفظها وتدبر معانيها وها انا ننشرها :

ان الله عز وجل جعل لعباده عقولا عاقبهم بها على معصيته واثابهم بها على طاعته فالناس بين محسن بنعمة الله عليه ومسيىء بخذلان الله اياه ولله النعمة على المحسن والحجة على المسيىء فما أولى من تمت عليه النعمة في نفسه ورأى العبرة في غيره ان يضع الدنيا بحيث وضعها الله فيعطى ما عليه منها ويتكثر بما ليس له منها فان الدنيا دار فناء ولا سبيل الى بقائها ولابد من لقاء الله فاحذركم الله الذي حذركم نفسه واوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة قبل ان تصيروا الى الدار التي صاروا اليها فلا تقدرون على توبة وليس لكم منها اوبة

(١) ذكر ابن أبي الحديد في ج ٤ ص ٧٤ انه : كان مكتوبا في الحيطان الاربعة في قصر زياد كتابة بالجص اربعة اسطر :

اولها : الزم الشدة في غير عنف واللين في غير ضعف .
والثاني : المحسن مجازى باحسانه والمسيء يكافأ باساءته .
والثالث : العطيات والارزاق في ابانها واوقاتها .
والرابع : لا احتجاب عن صاحب ثغر ولا عن طارق ليل .

(٢) المقريزي ج ٣ ص ١٧٣ . كانت العرب في الجاهلية تؤدب الخلعاء بالنفي الى (حضوضى) ونفى عمر بن الخطاب في صدر الاسلام أبا محجن الثقفي اليها (لغة العرب السنة الخامسة ص ٢٠٢) .

وبعد ان توطدت الامور جعلت (عين الزارة) في البحرين منفى العراقيين في سنة ٦٠ كما ان (دهلك) التي هي جزيرة في بحر اليمن صارت منفى الامويين .

ولما استقرت امية بالاندلس جعلت (طرطوشة) منفى لمن لا يرغب فيه (الحلل ج ٣ ص ٨) .

وانا استخلف الله عليكم واستخلفه منكم . (١)

ثم اتى بعد ذلك دور الحجاج فكان ابا رؤفا للعرب الصادقين وكان شوكة في عيون المارقين وكان نارا تتأجج في قلوب اعداء قومه وكانت سياسته مرتكزة على ان يكون العراق عربيا وان يكثر من وجود العرب فيه ليكونوا له ولقومه قوة فقد روى البخارى حديث الحجاج مع سلمة بن الاكوع وقد بلغه ان خرج الى سكنى البادية فقال له : ارتددت على عقبيك تعربت فقال : لا ولكن رسول الله أذن لى فى البدو . (٢)

وقد كان الحجاج عدا ما ذكرنا يحاول فتح الصين وارسل اليها قائدين احدهما (القاسم الثقفى) من طريق السند وثانيهما (قتيبة بن مسلم الباهلى) من طريق الترك .

ولكى نعرف اثر تلك الروح المحمدية الهاشمية فى نفوس قومه العرب ولكى نعرف نتائج تربيته الباهرة فانا نذكر شاهدين احدهما فى مصر لما فتحها (عمرو بن العاص) حيث بلغه انهم يقولون ما ارث العرب واهون عليهم انفسهم ما رأينا مثلنا دان لهم ؟ فخاف ان يستثيرهم ذلك من امرهم فامر بجزر فذبحت فطبخت بالماء والملح وامر امراء الاجناد ان يحضروا واعلموا اصحابهم وجلس وأذن لاهل مصر وجيء باللحم والمرق فطافوا به على المسلمين فأكلوا أكلا عربيا انتشلوا وحسوا وهم فى العباء ولا سلاح فافترق اهل مصر وقد ازدادوا طمعا وجرأة وبعث فى امراء الجنود فى الحضور باصحابهم فى الغد وامرهم

---

(١) الكامل ج ١ ص ٢٩٧ ومن كلمات زياد لما كان اميرا على البصرة : الحمد لله الذى من علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعدانا الى الاسلام وجعلنا ملوكا .

(٢) ابن خلدون ج ١ ص ١٠٤ . كان الحجاج اعلم الناس بسياسة العراق فقد روى ان عبدالملك عندما استعفى اهل العراق من الحجاج بن يوسف قال لهم : اختاروا اى هذين شئتم ! يعنى اخاه محمد بن مروان او ابنه عبدالله مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج : يا أمير المؤمنين ان اهل العراق استعفوا من سعيد بن العاص الى عثمان بن عفان فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل فقتلوه ! .... فقال عبدالملك : صدق ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبدالله بالسمع والطاعة له (البيهقى ج ١ ص ١٣٠) .

ان يجيئوا فى ثياب اهل مصر واحذيتهم وامرهم ان يأخذوا اصحابهم بذلك ففعلوا وأذن لاهل مصر فرأوا شيئا غير ما رأوا بالامس وقام عليهم القوام بالوان مصر فاكلوا اكل اهل مصر ونحوا نحوهم فافترقوا وقد ارتابوا وقالوا كدنا وبعث اليهم ان تسلحوا للعرض غدا وغدا على العرض واذن لهم فعرضهم عليهم ثم قال : انى قد علمت انكم رأيتم فى انفسكم انكم فى شيء حين رأيتم اقتصاد العرب وهون تزجيتهم فخشيت ان تهلكوا فاحببت ان اريكم حالهم وكيف كانت فى ارضهم ثم حالهم فى ارضكم ثم حالهم فى الحرب فظفروا بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم قبل ان ينالوا منها ما رأيتم فى اليوم الثانى فاحببت ان تعلموا ان من رأيتم فى اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثانى وراجع الى عيش اليوم الاول فتفرقوا وهم يقولون لقد رمتكم العرب برجلهم (١) •

وثانيهما : نجدها فى صفحة من صفحات العراق زمن الحجاج الذى ارسل قتيبة بن مسلم الباهلى لفتح الصين من طريق الترك فقد روى انه لما توغل قتيبة حتى قرب من الصين كتب اليه ملك الصين : ان ابعث الينا رجلا من اشراف من معكم يخبرنا عنكم ونسائله عن دينكم :

فانتخب قتيبة من عسكره اثنى عشر رجلا وقال بعضهم عشرة من افناء القبائل لهم جمال واجسام والسن وشعور وبأس بعد ما سأل عنهم فوجدهم من صالح من هم منه فكلمهم قتيبة وفاطنهم فرأى عقولا وجمالا فامر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخز والوشى واللين من البياض والرقيق والنعال والعطر وحملهم على خيول مطهمة تقاد معهم ودواب يركبونها • وكان هبيرة بن المشمرج الكلابى مفوها بسيط اللسان • فقال يا هبيرة : كيف انت صانع ؟ •

فأجابه هبيرة : أصلح الله الامير قد كفيت الادب وقل ما شئت اقله وآخذ به ! فقال له قتيبة : سيروا على بركة الله وبالله التوفيق لا تضعوا العمائم عنكم

(١) الطبرى ح ٤ ص ٢٣٠ •

حتى تقدموا البلاد فاذا دخلتم عليه فاعلموه انى قد حلفت ان لا انصرف حتى اطأ بلادهم واختم ملوكهم واجبى خراجهم .

سار الوفد وعليه هبيرة بن المشمرج فلما قدموا ارسل اليهم ملك الصين يدعوهم فدخلوا الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثيابا بياضا تحتها الغلائل ثم مسوا الغالية وتدخنوا ولبسوا النعال والاردية ودخلوا عليه وعنده عظماء اهل مملكته فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا احد من جلسائه فنهضوا فقال الملك لمن حضر كيف رأيتم هؤلاء ؟ .

قالوا : رأينا قوما ما هم الا نساء ......

ولما كان الغد ارسل اليهم فلبسوا الوشى وعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا عليه قيل لهم ارجعوا فقال لاصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة ؟

قالوا : هذه الهيئة اشبه بهيئة الرجال فى تلك الاولى وهم اولئك ! فلما كان اليوم الثالث ارسل اليهم فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا البيض والمغافر وتقلدوا السيوف واخذوا الرماح وتنكبوا القسى وركبوا خيولهم وغدوا فنظر اليهم صاحب الصين فرأى امثال الجبال مقبلة فلما دنوا ركزوا رماحهم ثم اقبلوا نحوهم مشمرين فقيل لهم قبل ان يدخلوا ارجعوا لما دخل فى قلوبهم من خوفهم فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم دفعوا خيولهم كانهم يتطاردون بهـا .

فقال الملك لاصحابه : كيف ترونهم ؟ .

فقالوا : ما رأينا مثل هؤلاء قط !

ولما امسى ارسل اليهم الملك : ان ابعثوا الى زعيمكم وافضلكم رجلا فذهب اليه (هبيرة) .

ما دار بينهما من الحديث

الملك : قد رأيتم عظيم ملكى وانه ليس احد يمنعكم منى وانتم فى بلادى وانما انتم بمنزلة البيضة فى كفى وانا سائلك عن امر فان لم تصدقنى قتلتكم !

هبيرة : سل !

الملك : لم صنعتم ما صنعتم من الزى فى اليوم الاول والثانى والثالث ؟

هبيرة : اما زينا الاول فلباسنا فى اهالينا وريحنا عندهم واما يومنا الثانى فاذا اتينا امراءنا واما اليوم الثالث فزينا لعدونا فاذا هاجنا هيج وفزع كنا هكذا .

الملك : ما احسن ما دبرتم دهركم فانصرفوا الى صاحبكم فقولوا له : ينصرف فانى قد عرفت حرصه وقلة اصحابه والا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه !

هبيرة : كيف يكون قليل الاصحاب من خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون ؟

وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك ؟ واما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا اجالا اذا حضرت فاكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا نخافه !

الملك : فما الذى يرضى صاحبك ؟

هبيرة : انه قد حلف ان لا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم ملوككم ويعطى الجزية !

الملك : انا نخرجه عن يمينه نبعث اليه بتراب من تراب ارضنا فيطأه ونبعث بعض ابنائنا فيختمهم ونبعث اليه بجزية يرضاها فدعا الملك بصحاف من ذهب فيها تراب . وبعث بحرير وذهب واربعة غلمان من ابناء ملوكهم ثم اجازهم فأحسن جوائزهم فساروا وقدموا بما بعث به فقبل قتيبة الجزية وختم الغلمة وردهم ووطىء التراب وكان ذلك فى السنة السادسة والتسعين من الهجرة . (١)

ذكرنا لك مثالين لتعلم العظمة العربية والمجد العربى والسؤدد الاموى وبعد هذا وذاك فليسأل بعضنا بعضا : كيف فقدنا هذا الملك الطويل العريض ؟ ولنختم الاسئلة المتكررة والاجوبة المتعددة بقول يزيد بن المهلب :

كفى بالمرء نقصا ان يهدم ما بنى ابوه .

(١) الطبرى ج ٨ ص ١٠٠ .

٤

لندع الآن الادوار المؤلمة التى مرت بعد تلك الحياة المشرفة العطرة لان لها مكانا آخر فى غير هذه الرسالة .

ولندرس الآن وضع العرب عموما والعراق خصوصا منذ ثار الشريف حسين فى ٩ شعبان من سنة ١٣٣٤ للهجرة النبوية .

ويجد القارىء فى مقال (ثورتنا) بعض الدوافع الى الثورة كما انه يرى النقص الكبير فى حياتنا الاجتماعية والسياسية قبل الحرب العامة .

ونرى من الخطل درس الثورة وعواملها من الوجهة العربية فحسب كما انا نرى من الواجب درسها من الوجهة الانكليزية ايضا لان للانكليز سياسة مقررة منذ امد بعيد فى الجزيرة العربية .

ومن المهم جدا ان نعرف اهداف الانكليز فى دخولهم الحرب فى الجزيرة العربية وفلسطين والعراق والانبراطورية التركية . لان الانكليز وحلفاءهم اشتغلوا منذ امد بعيد فى تقسيم تركية وآخر اتفاقية لهم تقسيم ساكس - بيقو[١] ومن الطبيعى ان هذا التقسيم يشمل البلاد العربية والامة العربية تقطن بجزيرتها وعراقها وشامها كما ان لها فى ولاية (اذنة) اليوم نحوا من مائة الف عربى باصله ودمه [٢] وكانت مقاطعة الاهواز بقعة عربية بشهادة رجال الاسكندر المكدونى وبقيت على حالها حتى الاسلام ويدلنا على ذلك هجرة بنى تميم الذين تسموا ببنى الاعمام اليها فى سنة ١٥٠ قبل الاسلام [٣] .

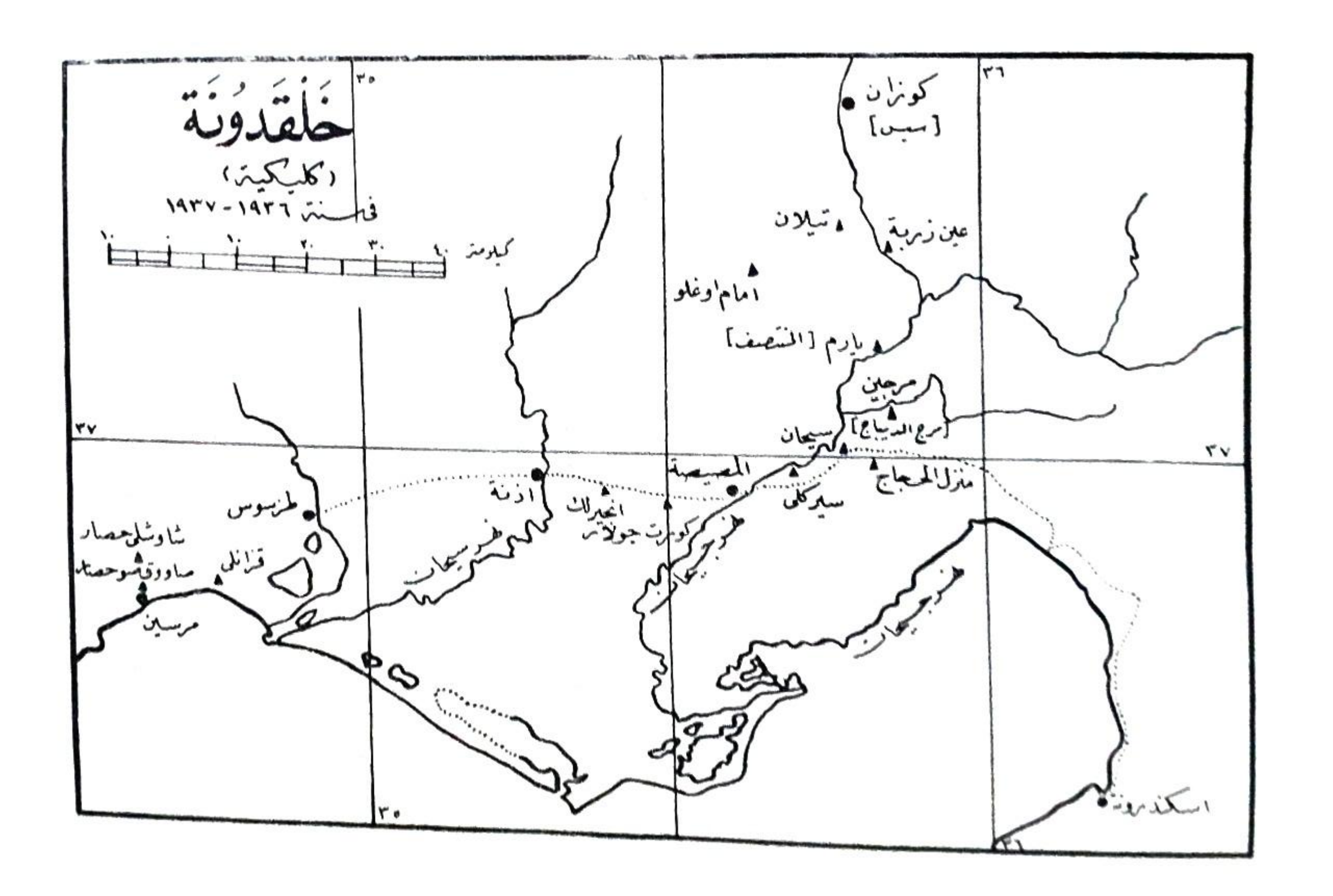
هذه هى الرقعة العربية التى حاول الشريف حسين رحمه الله ان يدعها تتمتع فى بحبوحة الحياة والحرية .

---

(١) انظر خارطة تقسيم تركية فى آخر الرسالة .

(٢) خطط الشام ج ١ ص ٨٢ .

(٣) الاغانى فى بحث الفرزدق وحديثه مع عبدالله بن الزبير .



خَلْقَدُونَة
(كليكية)
في سنة ١٩٣٦ - ١٩٣٧
كيلومتر
كوزان
[سيس]
تيلان
عين زربة
امام اوغلو
يارم [المنصف]
مرجاين
[مرج الديباج]
سيحان
المصيصة
منزل الحجاج
سيركلي
كوبرت جولار
انجيرلك
اذنة
طرسوس
قرانلي
شاوشلي حصار
صاووقصوحصار
مرسين
نهر سيحان
نهر جيحان
اسكندرونة

لننظر الآن الى اهداف الانكليز العسكرية !

كان للانكليز هدفان عسكريان اولهما الاستيلاء على رأس خليج البصرة لحماية عيون النفط (١) وثانيهما حفظ المواصلات بين البحر الاحمر والسويس لهذا سمى الجيش المرسل الى خليج البصرة باسم (حملة العراق) والثانى باسم (حملة مصر) وعهدت ادارة (حملة العراق) الى الهند والثانية الى الحكومة البريطانية نفسها وكان (المكتب الهندى) فى بريطانية للسنتين الاولين للحرب مسؤولا عن سياسة وادارة الحملة فى العراق بينما الحملة المصرية عهدت ادارتها العسكرية الى وزارة الدفاع البريطانية وسياستها الى وزير الخارجية (٢) .

ويجب ان لا ننسى ان العراق كان قبل الحرب العامة تحت نفوذ الاستخبارات البريطانية فى الهند ومركزها (سملا) (٣) .

وكان الذين رافقوا الحملة العراقية من الموظفين المدنيين طبعا من خريجى مدرسة الاستعمار (البريطانى - الهندى) ينازعون الموظفين المدنيين الذين رافقوا الجيش العربى فى سورية فكانوا على خصام مستمر فى الرأى وقد تحدى النزاع بينهما سلطة الوزراء البريطانيين انفسهم فكان (المستر مانتاكيو) وزير الهند من الاحرار ومن سياسة الاحرار اشراك الاهلين فى الحكم بينما الموظفون المدنيون الذين خرجوا من مدرسة الاستعمار الهندى البريطانى يرون خلاف رأيه فى سياستهم فى العراق وزعيمهم (ارنولد ولسن) .

وكذا كان موقف (اللورد كرزن) الاستعمارى من الموظفين الذين رافقوا الجيش الفيصلى فى سورية حيث كانوا معجبين بالبطولة العربية وزعيمهم (لورنس) .

كانت السياسة الانكليزية فى العراق التى يديرها (ارنولد ولسن) سياسة استعمارية بحتة وكان وجود المرحوم فيصل على رأس الجيش العربى الذى فتح مدينتى الشام وحلب قذى فى عيون الفرنسيين الذين يرون حب الانكليز

---

(١) او النفطات (البيهقى ج ١ ص ١٣٠) .

(٢) العربى المستقل تأليف هربرت يتك ص ٢٧٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٣ .

له في سورية التي يرونها ملكهم بينما يرون (ارنولدولسن) او الانكليز انفسهم يديرون العراق العربي ادارة استعمارية لهذا خامرهم الخوف من وجوده بينهم فقبلوا له وللعرب ظهر المجن . لان الفرنسيين يعلمون طبعا نوايا سياسيي الانكليز في العراق .

ولان الفرنسيين يعلمون طبعا ما كان يتحدث به الانكليز في العراق من ان الحلفاء ينتصرون سواء أكان ثمة عرب ام لم يكونوا ؟ وسواء أكان لورنس ام لم يكن ؟ (١) .

لنرجع الآن الى العراق مهد الضباط الذين اشتركوا في ثورة ٩ شعبان سنة ١٣٣٤ للهجرة .

ولنذكر دوما نيات الموظفين المدنيين الانكليز الذين رافقوا الحملة الى العراق ولنذكر بجانب ذلك آمال الضباط الذين اشتركوا في حملة الجيش العربي الشمالي ولنذكر انه لم يكن منهم في اول وزارة عراقية تألفت في ٢٧ تشرين اول سنة ١٩٢٠ سوى المرحوم (جعفر العسكري) كما انه يجب ان نذكر حتى يومنا هذا السياسة التي وضعها (ارنولدولسن) في العراق .

يجب ان نذكر تلك وان نذكر هذه وان نذكر ما جرى بعد ذلك لنعلم اسباب خيبة العرب في العراق واسباب النكبة .

نعم ! يجب ان نذكر كل ذلك لان الادارة في العراق اصبحت مزدوجة ولان المستشارين الانكليز كانوا من خريجي مدرسة الاستعمار البريطاني الهندي ولانه لم يدخل الوزارة من ذوي الفكرة سوى المرحوم (جعفر العسكري) فكان اول وزير من العهديين واخذ الاهمال في الادارة القومية يدب منذ قبلوا ان يكون المستشارون من الموظفين الانكليز السابقين بدل ان يجلبوا معهم الانكليز الذين رافقوهم في حملتهم والذين اعجبوا بشجاعة العرب وبطولتهم والذين فتنوا بشهامة العرب وسؤددهم !

---

(١) ارنست مين ص ٥٧ .

٥

يكاد يستنتج القارىء من هذه الرسالة ان التربية القومية عند رجال النهضة لم تكن ناشئة منذ الطفولة بل كانت طفرة وان رجالنا وان كانوا عسكريين لم يكونوا من ذوى المواهب الواسعة التى تؤهل الرجل لان يكون زعيما يقود أمته الى طريق الفلاح كما كان يفكر الزعيم مصطفى كمال باشا فى سنة ١٩١٧ اى اثناء الحرب (١) .

ولهذا نقول فيهم وفى تشكيلاتهم ومساعيهم :

ليس الفخر لمن اتى بالسلاح الى العراق فحسب
بل لمن يعلم الاهلين الرمى بالسلاح !
وليس الفخر لمن يعلم الاهلين الرمى بالسلاح فحسب
بل لمن يعلم الاهلين اصابة الهدف
وليس الفخر لمن يعلم الاهلين اصابة االهدف فحسب
بل الفخر كل الفخر لمن يجعل الاصابة فى سبيل الجامعة العربية !

نعم ! انهم عسكريون وانهم قادة واعترف المستشارون الانكليز لهم بذلك فبنوا لهم قصرا حيريا (٢) يطبقون فيه كل ما عندهم من الفنون والمهارة العسكرية

---

(١) انظر كتابه الذى رفعه الى انور باشا فى الملحق .

(٢) روى المسعودى ان المتوكل احدث فى ايامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيرى والكمين والاروقة وذلك ان بعض سماره حدثه فى بعض الليالى ان بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نصر احدث بنيانا فى دار قراره وهى الحيرة على صورة الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها لئلا يغيب عنه ذكرها فى سائر احواله فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر والكمان ميمنة وميسرة ويكون فى البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه وفى اليمين منهما خزانة الكسوة وفى الشمال ما احتيج اليه من الشراب والرواق قد عم فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثة على الرواق فسمى هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيرى والكمين اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل فى ذلك ائتماما بفعله واشتهر الى هذه الغاية ج ٤ ص ٣٨ .

فكانت نتيجتها نكبة ٢٩ تشرين الاول لسنة ١٩٣٦ وكان جعفر العسكرى الذى كان اول وزير عهدى فى الحكومة العراقية ضحية تلك السياسة المزدوجة او الشاذة !

٦

وقف الفريق (روان روبنصن) الذى كان مفتشا فى الجيش العراقى فى معهد اتحاد القوات البريطانية والقى خطبة عنوانها (العراق) قال فيها ما يأتى : اتناول باديء بدء الناحية السياسية بوجه الاختصار الكلى : لقد انقضى الآن اربعمائة سنة بلا زيادة ولا نقصان على فتح العراق بيد السلطان التركى سليمان القانونى .

وقبل انتزاعنا هذا القطر من قبضة الترك عانى سكان البلاد حكم الغريب الصالح والطالح عليهم مدة اربعة قرون .

لذلك لا يعزب عن بالنا ما كان لذلك الحكم المديد فى السنين الطوال المتعاقبة من التأثير فى اخلاق العراقيين .

فكان من المستبعد ان نتوقع منهم فورا ظهور الصفات التى تؤهلهم للحكومة الذاتية وهى « أصالة الرأى والابداع والشعور بالتبعة المترتبة عليهم » الى آخر ما هنالك [1] .

نعم ! ان ما ذكره صحيح ولكنا مع اعترافنا بصحة رأيه نأسف على انحطاط الخلق عند البغداديين بالنسبة الى ماضيهم القريب فقد قال السائح (فوك) فى عرب بغداد لما زارها فى سنة ١٨٧٥ ما يأتى : ان أسس السجية العربية الصراحة والرجولية فالعربى نشط التفكير دقيق التصور والتخيل ذو رأى صائب حميد الصفات الا انه كثيرا ما تخونه هذه الصفات الحميدة وتعجز عن ظهورها لا لشيء الى لحياته البدوية . كما انه كثيرا ما تضيع منه مادة صالحة

(١) المجلة العسكرية عدد ٤٧ ص ٥١١ .

وتذهب هدرا دون نفع ما •

وفي الغالب يقضي الليالي الباردة خارج خيامه يقص القصص ويتلو الاشعار •

والنوم المستمر في النهار يصير العربي حرا في ليله الملذ كما هو متبع بين سكان المدن والارياف •

واذا خرجنا من المدن الكبيرة نجد القبائل البدوية على حالتها قبل آلاف السنين (١) ثم ذكر صلابة العربي وعصبيته القومية بما يأتي : ان لبس (الفس) كان علامة فارقة للتركي في بغداد وقلما يلبسه الاجنبي ومن المحال ان يضعه العربي على رأسه الا من استخدمته الحكومة التركية في دوائرها •

ونحن ازاء هذين الرأيين احدهما لشخص درس العراق وطبقته المثقفة السياسية التي تحكم باسم العرب والآخر درس العراق وطبقته العربية التي لا تملك من الحكم شيئا ـ زمن الوالي رديف باشا ـ لا نستطيع ان نكتم أسفنا الشديد على ما اصابنا من الانحطاط الخلقي والفكري وعلى كوننا لم نتقدم التقدم اللازم طيلة هذه المدة ولو بالاحتفاظ بذلك الخلق الرفيع ونعني به أصالة الرأي •

ولكوننا فقدنا الصفات التي تؤهلنا للقيام بجعل دولتنا فتية بشيبها وشبانها وارضها وسمائها وترابها ومائها وتأريخها وآثارها فاننا نكذب على الله ان لم نصرح بالحقيقة ونذكر فتيان العراق بان وضعنا لا يزال يمثل الهرم في الثقافة والادارة والعقلية السياسية •

٧

نود الآن ان نتجرد من العوامل والمؤثرات التي تدفع قلمنا في الكتابة عن العرب من خير وشر •

ونود الآن ان نضع انفسنا والعرب امام محكمة التأريخ لنرى ما تقوله

---

(١) ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ •

فينا كشعب له قابلية الكفاح الاممي •

ونود الآن ان نقدم الشهود للمحكمة التأريخية احدهما (هربرت ينك) الذي اشتغل في الحملة العراقية ثم رافق الحملة العربية الشمالية ثم استخدم في وزارة الخارجية البريطانية •

وثانيهما (اللورد بيل) وما كتبه في حق الشباب الفلسطيني وكلاهما شاهدا باعينهما جهاد العرب اما الاول فقد كتب في قابلية العرب في الجهاد كما يأتي : (١)

لما تم الاستيلاء على العقبة في ٦ تموز سنة ١٩١٧ وجد الضباط السوريون والعراقيون الذين كانوا في جيش الامير فيصل الشمالي على مسافة قريبة من تخوم سورية وكان هؤلاء الضباط جميعا منتمين الى حزب العهد •

ففي اواخر سنة ١٩١٧ تألف فرع لحزب العهد بين الضباط العراقيين باسم (حزب العهد العراقي) • ومنذ نشوب الحرب لم يذهب الا بضعة ضباط منهم الى العراق ـ هذا على افتراض ذهاب احد منهم ـ •

ولم يحسب لهم رجال سلطتنا حسابا ورأوهم منقطعين انقطاعا تاما عن آراء مواطنيهم العراقيين ورغباتهم •

اما الذي لم يعلمه رجالنا فهو ان اولئك الضباط العراقيين كانوا على اتصال يومي مع الوطنيين العرب من جميع الاقطار العربية وسرعان ما التهبوا حماسة ووطنية بزعامة فيصل المشجعة •

وفي ٨ كانون الثاني سنة ١٩١٨ اعلن الرئيس ولسن مواده الاربع عشرة فنصت المادة الثانية عشرة منها على ان الاقوام الذين ليسوا من الترك ان يتمتعوا بحياة امينة لا مرآء فيها وان يمنحوا فرصة لا يتعرقل فيها ابدا نشوء الحكم الذاتي فيما بينهم •

اتخذ العهديون هذه العبارة وعدا مقطوعا بامور عظيمة وبحثوا هذه الفقرة

(١) العربي المستقل ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ •

بشديد الاهتمام في خلال النصف الاول من سنة ١٩١٨ يوم لم تكن الجيوش قد تقدمت كثيرا في الشرق الاوسط لان قطعاتنا في العراق وفلسطين كانت على اقل ما يكون وذلك لصد الخطر الالماني الشديد في الجبهة الغربية .

وفي ١١ حزيران سنة ١٩١٨ صرحت حكومة جلالته جوابا عن مذكرة رفعها سبعة (١) من رجال العهديين السوريين في القاهرة : بان مناطق بلاد العرب التي كانت حـرة ومستقلة قبل الحرب والمناطق المحررة من الحكـم التركي باعمال العرب انفسهم في اثناء الحرب تعترف بها الحكومة البريطانية استقلال العرب الذين فيها استقلالا تاما ذا سيادة كاملة وانها ستعينهم في جهادهم من أجل الحرية .

وقد يكون نص هذا الجواب مدعاة للاسف لانه لا يمكن ان تكون الغاية المتوخاة منه لاغيا جميع المراسلات التي جرت مع الشريف حسين فحددت الحكومة البريطانيةفيها المنطقة التي اعتبرت نفسها حرة فيما تقرره بشأنها .

وللمرء ان يفترض انه مهما كان المصدر الذي امر بارسال هذا لم يحلم قط بان القوة العربية الصغيرة التي كانت يومئذ في (ابي اللسن) و (العقبة) ان تشترك في الاستيلاء على حلب التي تبعد مسافة خمسمائة ميل .

ولما وقع نظري اول مرة على الوثيقة في وزارة الخارجية اتضح لي فورا الباعث الذي حمل العرب على اتيان المعجزات في سبق الخيالة البريطانية في دخول درعا ودمشق وحلب .

وان لم نكد نستطيع القول بان هذه المناطق تحررت بمساعي العرب انفسهم غير اننا لا ننكر ان القوات العربية مثلت ـ ولا ريب ـ دورا خطيرا في هذا التحرير .

وفهمت ايضا اول مرة لماذا سئلت مرارا كثيرة بعد سقوط دمشق : من

---

(١) اما اسماؤهم فقد ذكرها (جورج انطونيوس) في كتابه يقظة العرب وكانوا : رفيق العظم والشيخ كامل القصاب ومختار الصلح وعبدالرحمن الشابندر وخالد الحكيم وفوزي البكري وحسن حماده .

كان المستولى الحقيقى على المدينة • هل كان الجيش البريطانى ام كان سيدنا فيصل ؟

فكنت دائما اجيب بقولى : انه لما كان مع فيصل على الاقل ستمائة جندى ومع الجنرال (شوفل) ما لا يزيد على خمسة عشر الف جندى فالجواب لا ريب فيه ولكننى لم اعلم قط ماذا كان المقصود من ذلك السؤال •

واما الثانى فقد ذهب الى فلسطين على رأس لجنة لتقدم تقريرها الى صاحب الجلالة ملك بريطانية فلننظر ماذا كتب عن جهاد العرب فى فلسطين ؟

ولكى يعلم القارىء وسائل التنظيم العربى ننشر له ما يأتى :

١ ـ وقد اصبح فى كل بلدة لجنة قومية عربية لها ممثلوها فى القرى المجاورة والمدى الذى وصلته هذه التشكيلات من الاتساع والطريقة المثلى التى تقوم فيها باعمالها يظهر جليا من تصرف الاهالى العرب بوجه الاجمال خلال اضطرابات السنة الماضية •

وقد اقامت تجاربنا الخاصة دليلا آخر يؤكد ما ذهبنا اليه ، ذلك انه لم يتقدم الينا عربى واحد لاداء الشهادة طيلة المدة التى ثابرت فيها اللجنة العربية العليا على مقاطعتنا ••• (١) ويطلق التقرير على هـــذه التشكيلات اسم (التنظيم الوطنى) •

٢ ـ يرى العامل الثانى فى انماء القومية العربية (المعارف) ويقول عن المعلم العربى فى فلسطين هذه الكلمة : (يكرس المنهج كله تقريبا للادب والتأريخ والتقاليد العربية) (٢) •

ثم يقول : ومما لا ريب فيه ان النظام الحاضر يخلق من الطلاب ناشئة متحمسة للوطنية العربية كل التحمس (٣) •

ثم يقول : غير ان حركة الشبان التى يدعمها نظام التعليم العربى

---

(١) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ص ١٧٤ •

(٢) المصدر ذاته ص ١٧٥ •

(٣) المصدر ذاته ص ١٧٦ •

يجب ان يستخلص منها على الاقل ان قوة روح القومية العربية في فلسطين لا يتوقع ان يتطرق اليها الوهن على مرور الزمن (١) .

٣ - ثم يقول في مكان آخر من تقريره : ذلك ان الحرب وما جرت وراءها من ذيول قد بعثت في جميع العرب روح الامل في احياء عصرهم الذهبي في عالم عربي حر متحد (٢) .

٤ - ثم يذكر التقرير في تواصيه لكبت الفكرة القومية العربية مع اعترافه بقلة المدارس العربية لابناء العرب ما يأتي : غير ان عدم كفاية المدارس العربية ليست باسوء ظاهرة في الحالة التعليمية فهذا النقص يمكن تلافيه والاحتياط له على مر الايام . والامر الذي يفوق بتأثيره السيء هذا النقص هو الطابع القومي المحض الذي يصطبغ به التعليم . وليس في مقدورنا ان نجد علاجا ناجعا لذلك البتة (٣) .

اتينا بهاتين الشهادتين لتطمن القارىء بان للعرب قابلية عمل المعجزات. وان في هذه الامة قوى خفية لا تزال كامنة يمكن الاستفادة منها فيما اذا احسن تنظيمها وقيادتها .

لنعد الآن الى جهود ابناء ٩ شعبان في الدولة العراقية التي يتبجح (اللورد بالفور) في خطابه الذي القاه في ١٢ تموز سنة ١٩٢٠ عند ذكر العرب واليهود بما يأتي : ..... ان الدول الكبرى وخاصة بريطانية العظمى قد حررتهم من استبداد قاهرهم الطاغي ، الذي داسهم تحت قدميه طيلة هذه الاجيال العديدة الماضية وآمل ان يذكروا اننا نحن الذين أسسنا الدولة العربية المستقلة في الحجاز واننا الذين نعمل الآن على تمهيد السبيل لاقامة دولة عربية مستقلة في العراق (٤) .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣٨ .

ولكي نصف ابن ٩ شعبان في العراق فانا نكتفي بالكلمتين الآتيتين :

الاولى : اذا مشى لا يفرق بين مواضع قدميه

والثانية : واذا ركب مال سرجه

٨

ان ابناء ٩ شعبان يجهلون تأريخ العراق القديم ولا يعلمون الشيء الكثير من تأريخه الحديث وان علموا شيئا من ذلك فانما علموه مبتورا او مشوها .

فهم لا يعلمون الصراع العنصري فيه وهم يجهلون الصراع بين المبادىء فيه وهم لا يدرون عظمة سرجون الاكدي وحمورابي البابلي ودولة آشور العظمى كما انهم لا يعلمون حرص العراق القديم على الاحتفاظ بدولة العرب الادبية التي بنيت عليها عظمتنا التأريخية فقد احتفظ بها العراق في جاهليته وصار مرجعها في اسلامه (١) وكان قتادة السدوسي وهو من اهل البصرة سند امية الادبي زمن عظمتها فقد روى كان الرجلان من بني مروان يختلفان في بيت شعر فيرسلان راكبا الى قتادة يسأله (٢) كما ان (قتيبة بن مسلم الباهلي) كان راوية عالما وكان يسأله الحجاج فيحل له مشاكل دولة الادب لهذا ولاه

---

(١) نقل السيوطي في كتابه المزهر في فصل معرفة المفاريد ما يأتي :

وعن حماد الراوية قال : امر النعمان بن المنذر فنسخت له اشعار العرب الطنوج وهي الكراريس ثم دفنها في قصره الابيض فلما كان المختار بن أبي عبيد الثقفي قيل له : ان تحت القصر كنزا فاحتفره فأخرج تلك الاشعار فمن ثم اهل الكوفة اعلم بالشعر من اهل البصرة .

ومما يفخر به العراق ان معاوية بن أبي سفيان جعل (دغفل بن حنظلة الشيباني الذهلي) معلما لابنه يزيد وكان عالم العرب بحكمها وايامها وانسابها ومن مفاخر العراق ان يقال : اشعر العرب واجودهم طويلة جمعت مع طول ثلاثة : طرفة بن العبد والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وكلهم عراقيون .

(٢) معجم الادباء ج ١٧ ص ١٠ .

خراسان (١) .

نعم ! انهم يجهلون الشيء الكثير من الرابطة السياسية التي ربطت عرب العراق بالجزيرة فهم لا يعلمون (المثنى) واعماله و (الاحنف بن قيس التميمي) ورأيه و (علي بن أبي طالب) و (فضلة) و (زياد بن أبي سفيان) وادارته و (الحجاج) وسياسته !

وكل سياسة سواء أكانت داخلية ام خارجية لا تنهج منهج من ذكرنا فهي مقضي عليها بالفناء والزوال كما زالت دولة العباسيين على يد هولاكو بارشاد نصيرالدين الطوسي .

٩

لا تزال في هذه الامة قوة دفينة يعوزها من يثيرها من مكمنها فيهذبها وينشرها بين الناس .

فقد كان اماثل الناس اذا اشتد الزمان يجلسون مجالس يدبرون امر الضعفاء ويفرقون فيها ما تحصل عندهم من فضل الزاد (٢) .

فهل حرم العرب من اماثل يتندون ويحلون المشاكل التي شطرت عرب العراق شطرين ؟

والعرب امة لا تركض الا وراء المجد والسؤدد فاذا قالت العرب : فلان من اهل البيوت فانما يعنون الشرف (٣) لهذا يقول شاعرهم .

---

(١) معجم الادباء ج ١ ص ٩٨ ونقل السعودي ان عبدالملك كتب الى الحجاج : انت سالم : فلم يعرف ما اراد بذلك فكتب الى قتيبة يسأله فاجابه ان سالما كان عبدا لرجل وكان عنده اسيرا وكان يسعى به اليه كثيرا فقال :

يديرونني عن سالم وادبرهم ... وجلدة بين العين والانف سالم

فاراد عبدالملك انك عندي بمنزلة سالم فلما أتى الحجاج بالرسالة كتب له عهدا على خراسان ج ٣ ص ٦٢ .

(٢) شرح الحماسة ج ٤ ص ١٢٤ .

(٣) شرح الحماسة ج ٤ ص ١٩٩ .

بنى البناة لنا مجدا ومكرمة   لا كالبناء من الآجر والطين

وتراها تعبر عن النفس بالثياب فيقولون (فلان طاهر الثياب) فى المدح و (دنس الثياب) فى الذم (١) .

١٠

قال (ابو عبيدة) : صاح (رؤبة) فى بعض الحروب التى بين تميم والازد : يا معشر بنى تميم اطلقوا من لسانى (٢) ويقصد بذلك ان تنطق رماحهم فينطلق لسانه بالمدح والاطرآء والفخر لان الشاعر لا يقول الشعر الا اذا غلبوا او قهروا واذا قتل منهم حتي يدركوا بثأرهم ولهذا قال الشاعر :

دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

فقد دفن عرب العراق قوافى المجد والشرف والفخر منذ شطروا شطرين واشغلوا الامة العربية بنفسها حتى اصابها العقم فصاروا كأنهم الذين عناهم الشاعر بقوله :

اولئك معشر كبنات نعش   ضواجع لا تسير مع النجوم

فللعراق صفحات خالدة وللعرب فيه صفحات مشرفة وللعروبة فيه راية بيضاء فلماذا اصبحنا ضواجع كبنات نعش ؟

فايامنا فى العراق كلها غرر فمن يوم القادسية الى يوم المدائن الى يوم جلولآء الى يوم نهاوند الى مرو الى كاشغر فلماذا لا نسير مع النجوم ؟

يا بؤس للجهل ضرارا لاقوام

لما أخذ خالد بن الوليد ليلى بنت سنان امرأة مالك وابنها جراد بن مالك واقدمهم المدينة ودخلها وقد غرز سهمين فى عمامته فكأن عمر غضب حين رأى السهمين فقام فأتى على بن أبى طالب عليه السلام فقال :

ان فى حق الله ان يقاد هذا بمالك قتل رجلا مسلما ثم نزا على امرأته كما

---

(١) شرح الحماسة ج ٤ ص ٢٧٠ .

(٢) البيان ج ١ ص ١٨٤ .

ينزو الحمار ثم قاما فاتيا طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص فتابعوا على ذلك فقال ابو بكر : سيف سله الله لا اكون اول من اغمده أكله الى الله وامره (١) .

فهل كان ثمة بين عمر وعلى شيء ؟

نعم ! كان عمر لا يترك احدا من العجم يدخل المدينة (٢)

فهل يلام عمر على عمله هذا ؟

ثم ان عمر بن الخطاب فل جموع يزدجر في نهاوند وقضى على مملكته وجعلها ملكا للعرب !

فهل خان عمر قومه ؟

ان في العراق طبقة يمكننا ان نسميها (اماثل الناس) وفي امكان هؤلاء الاماثل ان يحلوا المشكلة التي شطرت عرب العراق كما يحلون المنازعات التي تحدث بين القبائل ومن واجب هؤلاء الاماثل ان يتحدثوا كثيرا في موضوعنا هذا كي تسمع العامة ان لا نزاع بين على وعمر وان عليا قال لابن عمر في صفين : ويحك يا ابن عمر على م تقاتلني والله لو كان ابوك حيا ما قاتلني (٣).

وان الحسن والحسين كلما اباهما في مروان فأمنه بعد وقعة الجمل .

وان عليا ارسل ولديه الحسن والحسين للدفاع عن عثمان لما كان محصورا في داره كما انه غضب عليهما لما علم بقتله وان عليا خطب في مسجد الكوفة ونادى باعلى صوته : يا ايها الناس ، يا ايها الناس ، يا ايها الناس انكم اكثرتم في وفي ابن عفان وان مثلي ومثله كما قال الله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) (٤) .

وان عليا خطب على المنبر وقال : خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر

---

(١) الحماسة ج ٢ ص ٢٩٤ .

(٢) المسعودي ج ٢ ص ٢١٢ .

(٣) المسعودي ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٤) الخطيب ج ١٤ ص ٤٣٢ .

وفي رواية اخرى : خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر وعثمان (١) •

وحدث محمد بن على بن الحنيفة قائلا قلت لابى : يا ابت من افضل هذه الامة ؟ قال : نبيها يا بنى • قلت ثم من يا أبت ؟ قال : ثم ابو بكر • قلت : ثم من يا أبت ؟ قال : ثم عمر فقال ابن الحنيفة : فما منعنى ان اسأله عن الثالث الا مخافة ان يصكنى بعثمان (٢) •

وان لعلى بن ابى طالب مقامه المشرف عند الصحابة الكرام وقد تشيع له (سعد بن أبى وقاص) قائد القادسية وفاتح الايوان •

وهـذا احمد بن حنبل الذى كان من ابنـاء الدعوة الهاشمية وهو فتى شيبانى من (ذهل) الذى منه (دغفل بن حنظلة) النسابة ومنه (المثنى بن حارثة) روى عنه ابنه قائـلا : كنت بين يدى ابى جالسا ذات يوم فجاءت طائفة من الكرخيين فذكروا خلافة ابى بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان بن عفان فاكثروا وذكروا خلافة على بن أبى طالب وزادوا فاطالوا فرفع أبى رأسـه اليهم فقال : يا هؤلاء ! قد اكثرتم القـول فى على والخلافة والخلافة وعلى ان الخلافة لم تزين عليا بل على زينها (٣) •

وبعد هذا وذاك فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول : لا كسرى ولا قيصر بعد اليوم •

١١

حديثى الآن الى أماثل الناس الذين ذكرنا جاهليتهم والذين ذكرنا حالتهم الآن واعنى بالاماثل اولئك الذين يستمدون الوحـى من عنعنـات العـرب الاخلاقيـة والاجتماعية غير ملتفتين الى رطانة الاعاجم بل يرون الرطانة فى هكذا مواقع كفرا وارتدادا •

---

(١) الخطيب ج ١ ص ٣٢٦ •
(٢) الخطيب ج ٥ ص ١٢٩ •
(٣) الخطيب ج ١ ص ١٣٥ •

نعم ! حديثى اليهم وحدهم وحديثى معهم فقط لان الحديث عربى فهو يخص العرب والمعرب وحدهم !

وقد اوصانا النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : اقرؤا القرآن بلحون العرب واصواتها (١) وقد قالوا : انما كلم الله العرب على قدر كلامهم (٢) .

فاريد الان ان يستمد العربى الوحى من تلك التقاليد الزاهية العطرة .

نعم ! حديثى اليهم مع انه قد يختلف بعضهم عن بعض فى الحكم والرأى غير ان الجمع واثق ان هـذا الاختلاف مستند الى قضايا سبقت والى حوادث مضت والى سياسة اقتضت كاختلاف ابى بكر وعمر فى سبى العرب المرتدين فان الاول سباهم وان الثانى رد السبايا الى اهلها (٣) وكلاهما عربيان وكلاهما قرشيان وقد صار الاول خليفة للرسول واميرا على العرب وقد صار الثانى خليفته واميرا على العرب .

حديثى اليهم كى يحكموا فى الخصومة الناشبة بين عرب العراق تلك الخصومة التى شطرت القبيلة شطرين وقسمت الشعب قسمين هذا سنى وهذا شيعى وكلاهما عربى .

وقد بدأت الخصومة بينهما فى العراق وهد اهلكتهما الخصومة فى العراق واذا قلنا العراق فكأنا نقول العرب واذا قلنا العرب فكأنا نقول الاهداف التى أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم ! وما تلك الاهداف سوى : لا كسرى ولا قيصر بعد اليوم .

فهل فى الامكان ان نأخذ شطر الحديث هذا ونترك شطره الآخر ؟

او هل من الخلق العربى نبذ هذا الحديث وراء ظهورنا ؟

حكى الشافعى : انه لما دخل بغداد وفى الجامع ما يقرب من خمسين حلقة فما زال يقعد فى حلقة حلقة يقول لهم ! قال الله وقال الرسول ! وهم يقولون :

---

(١) الحسبة ص ١٩٥ .

(٢) معجم الادباء ج ١٩ ص ١٥٨ .

(٣) المسعودى ج ٣ ص ١٢٦ .

قال اصحابنا فاجتمع الخلق عليه حتى ما بقى فى المسجد حلقة غيره !

وقال ابو ثور : لما ورد الشافعي العراق جاءني حسين الكرابيسى - وكان يختلف معى الى اصحاب الرأى - فقال : قد ورد رجل من اصحاب الحديث يتفقه فقم بنا نسخر به فقمت وذهبنا اليه حتى دخلنا عليه فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل الشافعي يقول : قال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اظلم علينا البيت فتركنا بدعتنا واتبعناه (١) .

اتينا بهذه الامثلة القليلة لاماثل الناس كى يحكموا بين اخوانهم العرب لحل هذه القضية التى عطلت قول النبى صلى الله عليه وسلم وهدفه السامى الذى عبر عنه بكلمة : لا كسرى ولا قيصر بعد اليوم .

وأتينا بهذا المثال كى نضع نصب عينى الاماثل سعى الامام الشافعي فى بغداد لاعلاء كلمة الله وكلمة رسوله صلى الله عليه وسلم فنتخذ جميعا قائدا ومرشدا وبذلك نوحد الحكم فى معاملاتنا الشخصية ونوحد الرأى فى منهجنا القومى ونوحد العمل لتصديق محمد صلى الله عليه وسلم حين قال : لا كسرى ولا قيصر بعد اليوم .

الزعامة

١٢

ذكرنا فيما مضى صفة الدولة العراقية وانها باوضاعها دولة هرمة تلاعبت فى مقدارتها ايدى السوفسطائيين وقد علمنا التأريخ ان السوفسطائيين لم ينجحوا فى افساد اخلاق العامة فى عهد سقراط الا بوساطة التلاعب بالالفاظ (٢) .

---

(١) الخطيب ج ٦ ص ٦٨ .

(٢) الفلسفة الشرقية ص ٢٦٠ .

ونحن نقول الان ان اكبر علامة لتدهور الامم الاخلاقى والسياسى هو هذا التلاعب المزرى المشين وان كل ما اصاب الامة العربية فيما مضى ناتج من التساهل فى تلاعب كهذا كما انا نزيد على ذلك : ان التساهل فى العنعنات القومية خيانة بل ارتداد وكفر !

واى ارتداد اكبر من ان نصور للعامة السماء ارضا والارض سماء والجنة نارا والنار جنة والفضيلة رذيلة والرذيلة فضيلة ! غفرانك ربى !

والانكى اننا ندع العامة تعتقد بذلك وهذا هو الخسران المبين !

نعم ان الامة العربية العراقية حرمت (أصالة الرأى) فى وقتنا هذا وان الامة العربية العراقية اصيبت بالعقم !

وان الامة العربية العراقية رضيت من حياتها الاممية بمسح اللحى !

ولكن هذا لا يدفعنا الى اليأس والقنوط ! لان هذه التربة لا يزال فيها اثر من آثار النبوغ القديم ونعنى به تلك الشخصيات التى برزت فى ايام العرب الماضية .

اننا نعتقد الان انه لم يخلق بعد الرجل الذى يقود هذه الامة !

ولكنا مع اعتقادنا هذا نرى الواجب القومى يحتم علينا تمهيد الطرق لنبوغ الشخصيات كما مهدها الاسلاف فى الجاهلية ونعنى بذلك الزعيم الذى يدير سياسة الامة ويتحمل مشاق تلك الاعباء التى تسلسلت من العهد الاكدى فالبابلى فالاشورى فالعربى ، وهذا عمل شاق لا يسهله سكنى القصور ولا يقوم به ركوب السيارة ولا يزينه لبس القفاز .

بل انه كما يقول الجاحظ : وليس فى الارض عمل أكد لاهله من سياسة العوام (١) .

وقد قال الهذلى : وان سياسة الاقوام فاعلم　　لها صعداء مطلبها طويل .

بيدنا الآن كتاب (فن الزعامة) للاستاذ (اردواى تيد) مدرس الشؤون الادارية بجامعة كولومبيا الامريكية ذكر فيه خصال الزعماء المنشئين واخلاقهم

---

(١) الحيوان ج ٢ ص ٣٢ .

ترجم منه بعض الفقرات لفتيان العرب كي يلهجوا بذكرها الى ان يخلق الله من الامة العربية من يعمل بها .

اما وضع العراق الجغرافي فانه يحتم ان يكون حكمه عسكريا لانه مهدد بالاخطار

يقول المؤلف : ان النظام العسكري شعر بضرورة القيادة والزعامة وتشكيلاتها كما انه يرى ان القيادة تختلف عن الزعامة لان القيادة تكون فوق الشعب والزعامة مع الشعب فالقيادة تسعى وراء النتيجة والزعامة تتمشى مع الامور مشيا حسنا لتنال النتيجة .

ويعرف (الزعامة) بانها : « فعالية التأثير في الشعب من اجل التعاون لبلوغ غاية يشعرون برغبة الوصول اليها »(١) اى تنحصر الزعامة في السعي لحمل الشعب على التعاون من اجل الوصول الى هدف يرغبون في بلوغه « لان مقدرة الناس على تمثيل غايات متشابكة (مركبة) ومقدرتهم على ادامة الحماسة لغايات بعيدة محصورة ضمن حدود معينة ظاهرة . ونجد احيانا ان مقدرة الناس على الاهتمام بانسان والتعلق به قد ثبت دوما انها مقدرة ظاهرية فقط » (٢) .

ويرى المؤلف ان للبيئة اثرا في نبوغ الزعيم وان (الزعيم فنان) كما انه يرى عدم خلط ابطال الشعب بالزعماء . وانه يجب على الزعيم ان يكون خبيرا بالطبيعة البشرية وان يعرف الواجبات المترتبة عليه مع شعب جاهل لا يعرف ما عليه من الواجبات وان يعرف الزعيم كيفية التعبير عن (الغرض الاقصى) وكيفية تفهيم العامة به .

ويرى المؤلف ان الشعب يتبع اذا كان في الامكان ان نريهم بان الغاية لخيرهم ولسعادتهم .

وقد ذكر المؤلف اخلاق الزعماء البنائين وجعلها عشرة .

١ - النشاط الجسدي والعصبي خاصة .

٢ - حاسة القصد .

---

(١) المصدر ص ٢٠ .

(٢) المصدر ص ٤٩ .

٣ ـ الحماسة والغيرة .

٤ ـ المودة والعطف لانه يقول بان قوة الشخص فى قلبه لا فى رأسه وان العبرة فى الاعمال لا فى الاقوال .

وعند ذكر المؤلف هذه الصفة يقول : ونجد على العموم حياة الشعب العاطفية منظمة تنظيما يجعل الناس يشعرون ان هناك من يعنى بهم فتأخذهم هزة السرور فى الفرصة التى تسنح لهم للتعبير عن تأثرهم العاطفى بذلك !

٥ ـ الاستقامة .

٦ ـ الاستاذية (البراعة) الفنية .

٧ ـ الحزم والعزيمة ويقصد بهما وبشرطيهما الاساسين (اصالة الرأى) و (الشجاعة اللازمة لملاقاة النتائج) . وقد ذكر المؤلف فى هذا الموضوع ما ترجمته : « لذلك لابد لى من ان ابين بيانا موجزا عناصر التحليل او مراحله » .

اولا : معرفة القضية التى نجهلها .

ثانيا : الحاجة الى حقائق متراكمة من جميع المعلومات (المقدمات) المتعلقة بالقضية الموضوعة على بساط البحث ، وكلما كانت الحقائق تامة زاد احتمال الحصول على جواب صحيح .

ثالثا : عند تيسر البينة كلها تنحصر الخطوة الثالثة فى تصنيفها وتبويبها فى مجموعات متناسبة تعين على ايضاح جواب تجريبى بعض الايضاح .

رابعا : تنحصر الخطوة الرابعة فى تكوين نظرية او حل تجريبى يحتمل ان يكون الجواب المطلوب بناء على الحقائق المتيسرة .

خامسا : تنحصر الخطوة الخامسة فى تأيد هذا الجواب الافتراضى لتحقق صحته ومعرفة هل يؤدى معنى صحيحا يقبله العقل او بالاحرى هل ينطبق الانطباق المطلوب على العمل .

سادسا : تنحصر الخطوة السادسة فى تكييف النظرية او الحل التجريبى وقبولهما باعتبار كونهما صحيحين ومفيدين ما دامت حقائق القضية برمتها باقية على حالها فى جوهرها وتظل نتائج تطبيق الحل نتائج مرضية (١) .

٨ ـ الذكاء وهو ان يكون له قوة التخيل وتقبل النكتة فى اوانها .

٩ ـ قدرة التوجيه والايحاء ويرى المؤلف ان : « الزعيم الفائز هو المعلم الصالح » حيث يقول : « فن الزعامة كله ـ كما فى التربية ـ ينحصر فى انشاء رغبة بقوة دافعة شديدة لاجتذاب اتباع الزعيم بحيث لا تدع مجالا لتأثير الالهآء والتأخير » (٢) .

١٠ ـ الايمان : وعند البحث فيه ذكر ما يأتى : ونسأل سؤالا اوضح : بماذا يؤمن الزعيم يا ترى ؟ ؛ يفسر ذلك بقوله : على الزعيم بادىء بدء ان يؤمن بالشعب فيما يتعلق بصحة نزعاتهم الجوهرية وبنتيجة ذلك تفضيلهم الاجود على الاردأ حسبما تنكشف هذه الامور لهم بالاختبار او التبصرة. فهو يؤمن بتفضيلهم الحب على الكره والرفق على القسوة والرجاء على اليأس والبنيان على الهدم وعلى الزعيم ان يرغب فى الاعتماد على الناس وعليه ان يبين اعمالـه على افتراض كونهم ينصرفون انصرافا حقيقيـا الى المقاصـد المرغوب فيها ويحاولون على الاجمال السعى الى تحقيقها .

ثم يقول : غير انه على الزعيم ان يعلم بانه يشتغل بمواد بشرية لها خواص يحسب لها حسابها فما لم يلم بأمر مواده ويعتمد على خواصها لا يستطيع العمل لانه لا يحصل على شىء يعتمد عليه كما انه ليس لديه شىء ثابت يشتغل به (٣) .

وختم كتابه بالعبارة الآتية : ففى هذا الامر العصيب تتوقف الزعامة على

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٦١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦١ .

الاتباع الصالحين وتتوقف على اناس يستطيعون تدريجا معرفة مواطن خيرهم الاسمى وتتوقف على حثهم الى توخي تلك الغاية وهذه العملية ابدا متلازمة عناصرها فالزعيم يشير الى الطريق والاتباع يقررون مقابل ذلك كون الطريق صالحة .

ولا يثبت كون الطريق صالحة الا بالنظر الملي حيث تبدو في الحياة الشخصية عناصر العقل والروح الجميلة (١) .

ونود ان نختم كتابتنا هذه بالرجاء الى (امائل الناس) :

اولا ـ ان يقرؤا التأريخ العربي بعيون عربية .

وثانيا ـ ان يعلموا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : من خاف على عقبه وعقب عقبه فليتق الله .

بغداد في ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٥٨

عبد الرزاق الحصان

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٩٩ .

أخي العزيز صبحي عبد الحميد ..

اقدم لك جزيل شكري لما تفضلت علي به من تقديمك مثل

هذه الكتب القيمة التي لا بد لكل شاب عربي

من أن يقرأها وينتفع ما كان عليه اجدادنا

وآباؤنا من قبل .

خالد بن الوليد

قامت الشبيبة العربية بدور خطير فى تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده قياما جديرا بالاعجاب كما ان الرابطة التى تربط العرب بالماضى المجيد كانت رابطة لا نظير لها عند غيرهم فالعربى يحترم التقاليد القديمة والعربى يتتبع آثار أسلافه والعربى بطبيعته يذكر الماضى القديم كتراث أدبى فهو لا ينفك عن ذكره وأكبر دليل على ذلك حرصه على معرفة نسبه وقبيلته وقومه وأمته .

فالشبيبة العربية محتم عليها السير على غرار أسلافها الماضين والشبيبة العربية كلفها الله ان تقوم بالواجب التأريخى للعرب الاشاوس كما ان الله حباها بان تكون وارثة للمدنيات السامية فى العراق .

فالرابطة التى تربط الشاب العربى بالعراق تتجاوز ما يتعلمه فى المدارس فهى قديمة جدا وهى تتصل بدولة حمورابى العربى تلك الدولة التى رفعت شأن الانسانية الى العلى .

فماذا يملى الواجب التاريخى على شبيبتنا العربية فى العراق ؟ قد كانت الدولة البابلية من اقدم دول العالم مدنية وقد حباها الله

نشرت فى مجلة عطارد .

بمركزها السامى فجعلها فى بقعة مسيطرة على العالمين الشرقى منه والغربى .

وقد آثرها الله بان تكون فى البقعة الطاهرة الزكية تملى ارادتها على الكون وان يكون شعبها الشعب المختار لاداء الرسالة البشرية الى العالمين الشرقى والغربى وان يكتسب هذا الشعب تلك الصفة الرفيعة المتازة فهو غير شرقى وهو غير غربى بل هو الشعب السامى المتاز .

هذا ما يمليه علينا ـ معشر العرب فى العراق ـ الواجب التأريخى .

فاذا ما عدنا الى العرب الوارثين للمدنيات السامية فانا نجدهم قد قاموا بواجبهم التأريخى خير قيام وقد برهنوا على اهليتهم للقيام بالرسالة البشرية الى العالم وقد استحقوا خطاب الله لهم بقوله : كنتم خير أمة اخرجت للناس .

لا نستطيع فى وقتنا هذا الاشادة بذكر البطولة العربيـة التى بزت بطولة الامم .

ولا يسع مقالنا هذا ذكـر الاشاوس من العـرب الذين قلبوا التأريخ الاممى ولكننا نكتفى بذكر بطل من ابطالنا الاماجد الذى له اثر فى الجاهلية واثر فى الاسلام . والذى عم اثره الاسلامى العالمين الشرقى منه والغربى ذلك البطل (خالد بن الوليد المخزومى) .

نكتفى بذكر (خالد) فقط لان له فضلا على عرب العراق ولان

له منة على عرب سورية ولان له فضلا على العالم اجمع وهو العربي الذي طبق حركة الالتفاف الموفقة في الحروب ٠

فان كان (هندنبرغ) عظيما واصبح المثل الاعلى عند الالمان فخالد بن الوليد اعظم لانه المثل الاعلى لكل من ينشد المثل الاعلى من الامم كافة ٠

من هو خالد ؟ وما الواجب التأريخي لشباب العرب عموما وشبيبة العراق خصوصا ازاءه ؟

تقاسمت بيوتات قريش العشرة الادارة فيما بينها زمن الجاهلية فكان نصيب المخزوميين اجداد (خالد) نظارة (العتاد) كما كان نصيب (أمية) نظارة (راية قريش) وحملها وقت الحروب ونصيب (بني عدي) نظارة (السفارة) او رؤية الامور الخارجية وكان للمخزوميين شرف كبير لدى قريش حتى انهم سموا (هشام بن المغيرة) بكلمة (رب مكة) ولما مات ارخت قريش بموته وكان التنافس شديدا بين المخزوميين وبني عبد مناف لهذا نرى (خالد بن الوليد) (قبل اسلامه) شديد الوطأة على (محمد بن عبدالله) صلى الله عليه وسلم ولما ارادت قريش ان تنتقم لبدر ووصلت جموعهم الى قرب المدينة وقعت واقعة شديدة بين الفريقين وكان (خالد) بجانب قريش فاغارت خيله بحركة التفاف فاختلت صفوف الرسول صلى الله عليه وسلم واصيب ببعض الجروح وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة بتلك الواقعة ٠

ولما رأى (خالد بن الوليد) في الاسلام تحقيقا لمثله الاعلى استقر

رأيه مع عمرو بن العاص على الاسلام فدخلا فى دين الله وارسلهما الرسول صلى الله عليه وسلم قائدين كل واحد منهما الى جهة وهنا انفسح المجال لظهور العبقرية فى محيط اوسع . وهنا برز النبوغ العربى للعالمين الشرقى منه والغربى .

تولى خالد قيادة الجيش العربى فى العراق فظهرت عظمته التأريخية وهل العظيم سوى من يعمل لاجل سعادة قومه ؟ وهل العظيم سوى من يعمل لجعل قومه فى حالة احسن مما هم عليه ؟

يرينا التأريخ ان (خالدا) وقف خطيبا بالعراق وقال لقومه العرب: الا ترون الى الطعام كرفغ التراب وبالله لو لم يلزمنا الجهاد فى الله والدعاء الى الله عز وجل ولم يكن الا المعاش لكان الرأى ان نقارع على هذا الريف حتى نكون اولى به ونولى الجوع والاقلال من تولاه ممن اثاقل عما انتم عليه . هذا ما يمليه علينا الواجب التأريخى معشر الشباب العربى فى العراق !

فتح خالد العراق من البصرة حتى الفراض قرب (عانة) فى اقل من احد عشر شهرا وانتصر فى خمس عشرة وقيعة لم يهزم فى واحدة وهكذا ضرب (خالد) المثل الاعلى فى البطولة ازاء الدولة الشرقية لصالح قومه العرب !

ذهب (خالد) مددا الى جيش الشام ومعه عشرة آلاف بطل عربى عراقى فقطع الفيافى والبيد واشترك فى وقعة اليرموك ودبر (حركة التفاف) فانتصر الجيش العربى بفضل تدبيره وحسن

محاكمته .

وهكذا ضرب (خالد) المثل الاعلى فى البطولة ازاء الدولة الغربية لصالح قومه العرب .

عزل (خالد) من القيادة العامة بأمر (عمر) واصبح جنديا كأحد الافراد فى الجيش واشترك فى (فتح دمشق الشام) فأثنى عليه المؤرخ الانكليزى (جبن) ووضعه فى مصاف آلهة الاغريق الذين ذكرهم (هوميروس) فى (الياذته) . وهكذا اصبح (خالد بن الوليد) بطلا عالميا .

الرجل العظيم يشتغل لاجل قومه بدافع روحه العظيمة . والرجل العظيم يكرس حياته لاجل سعادة الجماعة بدافع العظمة و (خالد) بطل من الابطال فهو يحن الى موتة الابطال وهل موتة الابطال تكون فى غير ساحة النضال ؟ فقد سمع عنه انه قال وهو يجود بروحه على فراش الموت فى حمص وكان عمره اذ ذاك خمسة واربعين عاما : لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى الا ان اموت على فراشى وما فى عملى شىء ارجى عندى بعد ان لا اله الا الله من ليلة بتها وانا متترس والسماء تهلنى بمطر الى صبح حتى نغير على الكفار .

اصبح (هندنبرغ) عظيما عند الالمان لاجل حركة الالتفاف التى عملها ضد الروس .

واصبح (هندنبرغ) المثل الاعلى فى الوفاء بيمين الولاء الى مليكه

ولكن (خالدا) اعظم منه كثيرا ايها (الشاب العربى) .

فقد كان (خالد بن الوليـد) مطرودا من الامارة وكان (عمـر) يرى فيه غير ما يراه ابو بكر من الوجهة الادارية والسياسية ولكن (خالدا) العظيم ظل عظيما حتى ساعة موته فقد اوصى وصية وجعل (عمر بن الخطاب) الذى ابعده عن القيادة امينا على تنفيذها وبهذا ضرب المثل الاعلى فى انكار الـذات . وكان من جملة الوصيـة : اذا انا مت فانظروا فى سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل الله .

هذا هو الواجب التأريخى الذى يمليه علينا (خالد بن الوليد) .

وهذا هو الواجب التأريخى الذى يحتم على كل شاب عربى عراقى ان يتبعه فهل شبابنا منتبه ؟



شباب العرب والواجب التأريخى :

النعمان بن مقرن المزنى

فى كل بقعة من البقاع المتمدنة فى العالم فى عصرنا هذا تجد فئة كرست نفسها لقيادة شبابها المثقف الى المثل الاعلى .

ولو نظرنا الى البقعة العربية منذ زمن الاسكندر لوجدناها تمتد الى الرها شمالا والى جبال (الزار) او (زاغروس) شرقا ووجدنا العرب قطنوا بالاراضى الغرينية التى فى ساحل خليج البصرة الذى يسمى الآن (الخليج الفارسى) ووجدنا سفنهم تمخر البحر حتى جزيرة (الياقوت) او سيلان .

فنظرة واحدة من شباب العرب الى الادوار التى مرت فى الجزيرة العربية واطرافها كافية لان تكون نبراسا الى المثل الاعلى

كما ان العراق قد حفظ آثار اسلافهم البابليين والآثوريين بما كتبوه فى الالواح الطينية غير المخفورة التى لا تزال البعثات العلمية تنقب عنها فى مختلف الاماكن فتظهر البعثات هذه كل يوم شيئا جديدا من مفاخر ابناء عمومة العرب .

ولما ساح العرب قبل الاسلام وتوطنوا اطراف الجزيرة العربية

نشرت فى جريدة الاستقلال .

ارانا التأريخ ان النابغين من الشعراء فى الجهة العراقية كانوا اكثر من الذين ظهروا فى سائر البقاع العربية ٠

ولهذا يدعو الواجب التأريخى شباب العرب العراقى الى القيام بالاعمال الجبارة والى السعى لرفع لواء (المثل الاعلى) للامة العربية ٠

فالعرب الذين اشتركوا مع (خالد بن الوليد) فى العراق زمن أبى بكر كان لهم نصيب ايضا فى الاشتراك فى واقعة اليرموك وبعد ان انجزوا مهمتهم هناك اتوا العراق للقيام بالواجب القومى واشتركوا مع اخوانهم فى واقعة القادسية وفى واقعة (جلولآء او قزلرباط) ٠

كانت سياسة عمر فى العراق سياسة الرجل القانع بما فى حوزته من النعم وكان يود ان لو يكون بين العرب وفارس جبل من نار (١) وكانت غايته من اعماله الجبارة ان يعيش العرب فى العراق عيشة الشعب السعيد ٠

لهذا اختار لسكنى قومه العرب مكانين فى العراق فكانت الكوفة وكانت البصرة والاثنتان من تأسيس عمر والاثنتان أسستا لتكونا مأوى العرب ما دام فى الحياة عرق عربى ينبض ٠

أسست الكوفة وسكنتها القبائل وكان من بين تلك القبائل العربية قبيلة (مزينة المضرية) وكان من قبيلة مزينة هذه (النعمان بن مقرن المزنى) الذى اتخذناه مثلا لموضوعنا هذا لكى يفتكر الشباب

(١) ومن دعاء عمر رضى الله عنه : اللهم لا تدركنى ابناء الهمدانيات والاصطخريات (وعدد قرى من قرى فارس) الذين معهم قلوب العجم والسنة العرب ٠

العربى بماضيه ولكى يتدبر حاضره ولكى يجعله هدى الى مستقبله .

كان النعمان بن مقرن المزنى صورة من صور الاخلاق العربية وكان النعمان هذا فذا فى التضحية العربية وكان النعمان هذا مثلا فى انكار الذات لصالح قومه العرب .

وكان النعمان هذا درسا لمن ينشد المثل الاعلى فى الولاء والطاعة لاميره .

كان النعمان هذا محببا الى سعد بن أبى وقاص فاستعمله عاملا فى (كسكر او واسط الحى) .

وكان النعمان هذا مغرما فى الفروسية والبطولة فكان اول قتيل فى (نهاوند) .

وتأريخ (النعمان بن مقرن) هذا مفعم بالحوادث الجليلة التى يجدر بكل شاب عربى عراقى ان يفتخر بها وان يقتدى بها .

كان العرب فى ذلك الوقت مدفوعين بعامل ربانى لا يشعر بلذته الا من تربى تربية استقلالية وساعده الحظ لان يعيش عيشة الظافر فى معتركه الاممى .

ولولا ما فى العرب من بقية من دمهم القديم لما نشرنا هذه الصورة البديعة التى تمثل العظمة والبطولة والمثل الاعلى الذى لا يدانيه نظير فى الدنيا .

رسخت اقدام العرب فى العراق وقنع عمر بن الخطاب بما تم

للعرب من الفتوح واتخذ القناعة بما تيسر لقومه العرب الذين كانوا يلحون عليه بالانسياح ٠

ولكن (يزدجرد) ظل على ديدنه من جمع الاقوام من مختلف المقاطعات لطرد العرب من العراق فاجتمع له مائة وخمسون الفا فى (نهاوند) وكان ذلك فى السنة الحادية والعشرين للهجرة وقرروا فيما بينهم ما يأتى : ان (محمدا) الذى جاء العرب بالدين لم يغرض غرضنا ثم ملكهم (ابو بكر) من بعده فلم يغرض غرض فارس الا فى غارة تعرض لهم فيها والا فيما يلى بلادهم من السواد ثم ملك (عمر) من بعده فطال ملكه وعرض حتى تناولكم وانتقصكم السواد والاهواز واوطأها ثم لم يرض حتى أتى اهل فارس والمملكة فى عقر دارهم وهو آتيكم ان لم تأتوه فقد اخرب بيت مملكتكم واقتحم بلاد ملككم وليس بمنته حتى تخرجوا من فى بلادكم من جنوده وتقلعوا هذين المصرين ـ الكوفة والبصرة ـ ثم تشغلوه فى بلاده وقراره وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم على ذلك كتابا وتمالؤا عليه ٠

الرجل العظيم يشعر بالحوادث قبل وقوعها والرجل العظيم يأخذ الحيطة لما يجرى حوله من الطوارىء والرجل العظيم ينبىء قومه بقرب وقوع الحادثة العظمى ويقدم نفسه لدفع الحادثة بكل ما يتمكن عليه ولو جاد بنفسه ٠ وهكذا كان (النعمان بن مقرن المزنى) فانه كتب الى عمر حينما كان عاملا على كسكر ما يأتى :

مثلى ومثل كسكر كمثل رجل شاب الى جنبه مومسة تلون له وتعطر فانشدك الله لما عزلتنى عن كسكر وبعثتنى الى جيش من جيوش المسلمين وكان مصرا على الذهاب الى الجيش حتى ان يوما من الايام أتاه عمر بن الخطاب الى المسجد وهو يصلى فقعد الى جنبه فلما قضى صلاته قال : انى اريد ان استعملك فاجابه : جابيا فلا ولكن غازيا فقال له : فانت غاز فوجهه الى (اصبهان) .

بلغ (عمر بن الخطاب) ما اجتمع عليه القوم فى (نهاوند) واخذ يفكر فى الامر واراد الذهاب بنفسه الى ميدان القتال فمنعه اصحابه وكان منهم - طبعا - (على بن أبى طالب رضى الله عنه) وانا ننشر (للشبان) هذا الرأى الخطير الذى تمثل فيه النبل والسمو والآداب القرشية الاسلامية فكان الرأى ان قام (على بن أبى طالب) رضى الله عنه فقال : اما بعد يا أمير المؤمنين فانك ان اشخصت اهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان اشخصت اهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم وانك ان شخصت من هذه الارض انتقضت عليك الارض من اطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات اقرر هؤلاء فى امصارهم واكتب الى اهل (البصرة) فليتفرقوا فيها ثلاث فرق فلتقم فرقة لهم فى حرمهم وذراريهم ولتقم فرقة فى اهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ولتسر فرقة الى اخوانهم بالكوفة مددا لهم .

ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا قالوا هذا أمير العرب واصل العرب فكان ذلك أشد لكلبهم والبتهم على نفسك واما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره واما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكنا كنا نقاتل بالنصر .

وافق (عمر بن الخطاب) على ما رآه المسلمون واخذ يستشير القوم فيمن يوليه الامر قائلا لهم : اشيروا على به واجعلوه عراقيا ثم قال : اما والله لاولين امرهم رجلا ليكونن لاول الا سنة اذا لقيها غدا فكان ذلك (النعمان بن مقرن المزنى) فكتب اليه ما يأتى : بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى النعمان بن مقرن سلام عليكم فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فانه قد بلغنى ان جموعا من الاعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة (نهاوند) فاذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعرا فتوذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ولا تدخلنهم غيضة فان رجلا من المسلمين احب الى من مائة الف

دينار والسلام عليكم . ثم قال (عمر) للسائب ابن الاقرع : الحق

بهذا الجيش فكن فيهم فان فتح الله عليه فاقسم على المسلمين فيأهم وخذ خمس الله وخمس رسوله وان هذا الجيش اصيب فاذهب فى سواد الارض فبطن الارض خير من ظهرها .

سار الجيش على بركة الله يتقدمه الرعب والظفر وكان فيه وجوه اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم منهم (حذيفة بن اليمان) و (عبدالله بن عمر) و (جرير بن عبدالله البجلى) و (المغيرة بن شعبة وعمرو بن معديكرب الزبيدى وطلحة بن خويلد الاسدى وقيس بن مكشوح المرادى) .

التقى الجيش وحمل (النعمان) وحمل الناس وراية النعمان تنقض عليهم انقضاض العقاب وكان القائد معلما ببياض القباء والقلنسوة فزلقت به فرسه فخر صريعا ثم أتاه (معقل بن يسار) صاحب نهر (معقل فى البصرة) فغسل عن وجهه التراب فسأله : ما فعل الناس ؟ فاجابه : فتح الله عليهم فقال : الحمد لله اكتبوا بذلك الى الخليفة وفاضت نفسه .

ضرب لنا الفتى العربى العراقى هـذا مثلا فى البطولة والولاء والتضحية .

قدم لنا الفتى العربى العراقى نفسه ضحية للشباب العربى تلك التضحية الخالدة التى يعيش بها (شباب العرب) الحاضر فكان بطلنا هذا ميتا افصح منه حيا فهل شبابنا منتبه ؟

تربيتنا القومية

من الامور المهمة فى حياتنا العامة والخاصة ومن الشؤون الحيوية التى لم تلق لهـا مكانا فى مؤسساتنا الحكوميـة والاهلية (التربيـة القومية) .

ولا غرابة فى ذلك لان شبابنا الذى قام بنهضة (٩ شعبان) لم يكن مدربا تدريبا قوميا بل نشأ وتربى تربية عثمانية ونما فيه الحس القومى حينما كان شباب الاتراك يعزز قوميته الطورانية فقالوا حينئذ يجب ان نستقل . و (الاستقلال يؤخذ ولا يعطى) فكانت الحركة فى الحرب العامة واعقب ذلك تأسيس دولة عربية فى العراق وكان كل ذلك مبنيا على نوال حق طبيعى غير مستند الى أساس متين حيث يقولون اعطونا ! ...

لم يتثقف الشاب العربى ثقافة عربية حتى يقوم بواجبه القومى فينال حقه الطبيعى ! وكل حق لا يقوم على دعامة الواجب يصبح مشوشا .

ظل التشويش سائدا المؤسسات العراقية فانتج الضجر والتألم وبالتالى الانتقاد للمؤسسات الحكومية والاهلية .

واصبح الانتقاد عامـا فلم تخل مؤسسـة منه ومن الطبيعى ان تكون مؤسسة المعارف واحدة منها .

نشرت فى جريدة الاستقلال .

شعر المسؤولون عن السياسة العامة بضرورة الاصلاح والتقدم فكان مجيء (منرو) وكان منه الدرس وكان من الوزارة نشر التقرير الذى فضح الامر وجهر بالكارثة القومية حيث يقول فى طلاب المدرسة الثانوية ما يأتى : (فالروح الوطنية لا تتجلى فيهم الا اذا توسموا ان تدر عليهم فائدة من الحكومة) وطلاب الثانويات يعدون - طبعا - من القادة ! فماذا يؤمل من قادة العراق العربى فى المستقبل؟

و (التربية) هى (حصول الفرد على خبرة منوعة تؤثر فى سلوكه الفطرى تأثيرا يجعله انفع له واجدى على المجتمع) فما هى الخبرة التى حصلها قائد العراق العربى فى المدرسة حتى تؤثر فى سلوكه الفطرى وتكون نافعة لقومه العرب ؟ .

مع ان (منرو) نفسه قد ذكر ما يأتى : (والشعب العربى له فى تأريخه سجايا عظيمة وفى عنعناته الموروثة ميزات اجتماعية واخلاقية عظيمة ايضا ومنها الاعتماد على النفس والاستقلال والشجاعة والكرم والصبر على تحمل الشدائد والحماسة العظمى عند مقابلة المفاجئات والطوارىء الخطرة والولاء للقبيلة والجماعة ولابد من حفظ هذه العنعنات وتنميتها باشكالها الحديثة وفى التعليم المدرسى والحياة المدرسية) . ففى عنق قادة العراق العربى امانة تحتم عليهم الاحتفاظ بالتراث المادى واصلاحه لاجل ذرارى العرب اجمع .

تجشم (عمر بن الخطاب) كل صعب لاجل العراق وكابد (عمر بن الخطاب) كل مشقة من أجل العراق . ولاقى منيته من (مؤتمرى

نهاوند) (٢) لاجل قومه العرب فى العراق واذا كان فى الكون رجل سياسى ينظر الى ابعد ما تنظر اليه عين بشرية من أجل قومه فهو (عمر بن الخطاب) لاجل العراق وفى سبيل قومه العرب ٠

كانت العادة فى الفتح العربى قسمة الغنائم بين الفاتحين اللهم الا الارضين ومنها التربة العراقية وكانت العادة فى الفتح العربى ان يتنعم الفاتحون بما اوتوا من الغنائم اللهم الا البقعة التى تشكل فيها الحكم الوطنى العربى ٠

ان فاتحى العراق (يا قادة العراق العربى) اكثروا على (عمر) وقالوا حينئذ :تقف ما افاء الله علينا باسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولابناء القوم ولابناء ابنائهم ولم يحضروا ؟

وكان عمر مصرا على (حبس ارض العراق) على العرب وذراريهم ومن الطبيعى انه كان يرى فى قومه الكفاية لادارة هذه البقعة ومن الطبيعى ان يكون قادة العراق العربى فى يومنا هذا وفى غدنا الآتى

---

(٢) كان عمر رضى الله عنه نهى قومه العرب عن جلب العلوج الى المدينة عاصمة الدولة العربية خشية الغدر فلما قتل رحمه الله رثاه (الشماخ) بما يأتى :

جـزى الله خيرا من امير وباركت	يد الله فى ذاك الاديـم الممـزق
فمن يسـع او يركب جناحى نعامة	ليدرك مـا قـدمت بالامس يسـبق
قضيت امورا ثم غادرت بعدهـا	بوائج فـى اكمامهـا لـم تفتق
ابعـد قتيـل بالمدينـة اظلمت	له الارض تهتز العضـاه باسوق
تظل الحصان البكر يلقى جنينهـا	نثـا خبـر فـوق المطـى معلق
وما كنت اخشى ان تكون وفاتـه	بكفى سبنتى أزرق العين مطـرق

(السبنتى الجرى، واكثر ما يوصف به النمر وأزرق العين ابو لؤلؤة وكان من سبى نهاوند) ٠

امناء على هذه البقعة .

وكان الذين وافقوه على رأيه من الصحابة رضى الله عنهم (عثمان وعلى بن أبى طالب وطلحة وابن عمر عبدالله) فما الذى اعده المسؤولون عن السياسة العليا لاجل اعداد قادة يديرون شؤون هذه الفكرة المقدسة لاجل العرب اجمع ؟

نحن لا نشك ان صاحب الجلالة المغفور له (فيصل) قد بذل جهده بادىء بدء لاجل تأسيس دولة عربية فى العراق وان المساعى التى صرفت لم تتكلل بدرس الشؤون العربية العراقية ولكن فى سنة ١٩٣٣ ميلادية وغب مرور عدة اشهر على تقرير (منرو) الذى قال فيه ما تقدم سمع العالم العربى فى العراق ان جلالته ادلى بحديث الى (كريم ثابت) فى الباخرة (اسبريا) .

وكان ذلك الحديث ينم على تتبع لتأريخ العرب القومى فقد قال (كريم ثابت) : ولما عرفت من جلالته انه قرأ تأريخ العرب القومى سألته عن اعظم حكام العرب فى نظره فقال : (من اى ناحية ؟) فقلت : (من ناحية الحكم) فقال جلالته (لقد كان معاوية سياسيا كبيرا . هذا أمر لا شك فيه ... ولكن عمر بن الخطاب كان سياسيا كبيرا وحكيما ومبدعا فى الوقت عينه ... حقا انه كان مبدعا ... وقد عرف كيف يساير الزمان الذى يعيش فيه وهذا اول ما يتعين على الحاكم معرفته وتطبيقه ... نعم لقد ابدع (عمر بن الخطاب) فى حبس ارض العراق على قومه العرب وقد نظر الى مصلحة امته العربية

الى يوم الناس ولكن ماذا اعددنا لاجل تدريب قادة يحسنون الفائدة من هذا الابداع ؟

لقد تحتم على شباب ٩ شعبان ان يعتنوا بهذه الفكرة التى تدل على نظر بعيد فى سبيل قوميتنا المقدسة .

ولقد وجب على شباب ٩ شعبان ان يحرصوا على تراثنا الادبى والمادى باعداد قادة يحملون فكرة (عمر بن الخطاب) الذى حرم الفاتحين من التنعم بفىء العراق الذى افاءه الله عليهم لاجل صالح العرب الحاضرين .

فهل شبابنا سالك الطريق الذى عبده اليهم مليكهم الراحل قياما بامانة (عمر بن الخطاب) ومن وافقه على رأيه من الصحابة (عثمان وعلى بن أبى طالب وطلحة وابن عمر عبدالله) ؟ ...

الاخلاق الاسلامية

من الامور المقررة عند علماء الاجتماع اثر البيئة فى تكوين خلق الفرد فالوسط الطبيعى او البيئة عامل قوى فى تكييف طبيعة الانسان الذى يعيش فيه ٠

فخشونة الحياة فى الجزيرة العربية وقساوة الطبيعة وصفاء الجو وغير ذلك من العوامل المؤثرة فى حياة العربى فصار شجاعا مقداما وفارسا مغوارا وبطلا صنديدا ولو لم تكن فيه هذه الصفة لما استطاع ان يعيش فى بقعة لا تدر على اهلها من وسائل المعيشة الا النزر اليسير ٠

ومن كانت الفروسية صفة من صفاته الطبيعية ومن كانت البطولة فيه اثرا من آثاره الموروثة فانه يكون ـ ولاشك فيه ـ قوى الايمان فى نفسه وطيد اليقين فى شخصيته ٠ ومن كانت هذه شخصيته فانه يكون ـ ولاشك فى ذلك ـ صادقا فى اعماله ٠ ومن كان صادقا فى اعماله فانه يكون الرجل الصادق فى اقواله ولهذا كان (الصدق) من الصفات التى يتصف بها العربى ٠ وتأكيدا لما كان عليه العربى من الصفات الحميدة قال النبى صلى الله عليه وسلم (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) فكان الاسلام متمما لما كان عند العرب من العادات الحسنة وكان الاسلام رافعا لما كان

نشرت فى الهداية الاسلامية ٠

عند العرب من العادات التى لا تلائم المجتمع من حيث التوحيد ونظام العائلة ونظام الاقتصاد وغير ذلك .

وقد قال الله عز وجل مبشرا الصادقين : (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم) . . .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تحروا الصدق ؛ فان الصدق يهدى الى البر ، والبر يهدى الى الجنة ، وان المرء ليتحرى الصدق ، حتى يكتب صديقا) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بم يعرف المؤمن ؟ قال : بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه .

ومن كلام (على بن ابى طالب) رضى الله عنه : (الايمان ان توثر الصدق حيث يضرك ، على الكذب حيث ينفعك) . وقال صلى الله عليه وسلم : ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مسلم ، من اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ؛ واذا أؤتمن خان) وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يجوز الكذب فى جد ولا هزل) وقال : (لا يكون المؤمن كذابا) .

وقد قال الله عز وجل فى الغدر والخيانة : (وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) .

وقال تعالى : (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون

ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (من أمن رجلا ثم قتله وجبت له النار وان كان المقتول كافرا) وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (اذا جمع الله الاولين والآخرين رفع لكل غادر لواء وقيل : هذه غدرة فلان) .

فكان القرآن الكريم وما اتى به من الحث على الصدق والذم للنفاق والغدر والخيانة وكذا ما أتى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من التأكيد لما مضى خير مرشد الى ما جبلت عليه النفس العربية فى صدر الاسلام من الصفات والاخلاق المرضية حتى كانوا كأنهم ملائكة .

وتتجلى لنا الاخلاق العربية التى صقلها الاسلام فصارت عادة عند قادة العرب ما كتبه (عمر بن الخطاب) الى (سعد بن ابى وقاص) رضى الله عنهما : (انى قد القى فى روعى انكم اذا لقيتم العدو وهزمتموهم فاطرحوا الشك وآثروا التقية عليه . فان لاعب احد منكم احدا من العجم بامان او قرفه باشارة او بلسان كان لا يدرى الاعجمى ما كلمه به وكان عندهم امانا فاجروا ذلك له مجرى الامان واياكم والضحك والوفاء الوفاء فان الخطأ بالوفاء بقية وان الخطأ بالغدر الهلكة وفيها وهنكم وقوة عدوكم وذهاب ريحكم واقبال ريحهم واعلموا انى احذركم ان تكونوا شينا على المسلمين

وسببا لتوهينهم) .

بهذه الاخلاق الاسلامية فتح الله على العرب العراق وبهذه الاخلاق الاسلامية اعز الله جيش المسلمين بحركاته الجبارة .

ولكى تعلم مدى تمسك العرب المسلمين بهذه الاخلاق الاسلامية ما نرويه لك عن الجيش الذى حاصر (جند يسابور) والذى بقى محاصرا يغادونهم ويراوحونهم القتال حتى رمى اليهم بالامان من عسكر المسلمين فلم يفجأ المسلمين الا وابوابها تفتح ثم خرج السرح وخرجت الاسواق وانبث اهلها فارسل المسلمون : أن ما لكم ؟ قالوا : رميتم الينا بالامان فقبلناه واقررنا لكم بالجزاء على ان تمنعونا ! فقال المسلمون : ما فعلنا ! فقالوا : ما كذبنا ! فسأل المسلمون فاذا عبد يدعى مكنفا كان اصله منها هو الذى كتب لهم . فقالوا انما هو عبد ! فاجابوهم : انا لا نعرف حركم من عبدكم قد جاء امان فنحن عليه قد قبلناه ولم نبدل فان شئتم فاغدروا ! .. : فامسكوا عنهم وكتبوا بذلك الى (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه فكتب اليهم : ان الله اعظم الوفاء فلا تكونون اوفياء حتى تفوا ما دمتم فى شك اجيزوهم وفوا لهم ! . فوفوا لهم وانصرفوا عنهم .

هذه صورة من صور الاخلاق الاسلامية التى كانت عند العرب فى صدر الاسلام وهذه نبذة من الاخلاق العالية التى امتاز بها العربى فى صدر الاسلام والتى بسببها نال ما نال من الفتح

المبين ويمكننا ان نخصص تلك الاخـلاق الشريفـة بكلمة (اخلاق الفاتحين) •

بهذه الاخـلاق الكريمـة رفعت راية القرآن منذ الف وثلثمائة وثلاثة وستين عامـا وبهـذه الاخـلاق الفاضلة انتشـرت الفضيلة الاسلامية فى العالم •

وبهذه الاخلاق الشريفة توطد الدين الاسلامى ورسخ اساسه الى يوم الناس •

وبهذه الاخلاق السامية استحق القائمون بهذا الدين الاسلامى ان يكونوا قادة البشر فى الحقوق الاجتماعية والسياسية ولهـذه الاخـلاق النبيلة يعود الفضل الى بقاء الاسلام والدين الاسـلامى الى يوم الحشر •

روى ان (عمر بن الخطاب) سـأل اعلم الناس بالقرآن (عبدالله بن عباس) رضى الله عنهما : كيف تختلف هذه الامة ونبيها واحد ؟ فقال : يا أمير المؤمنين انا انزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم نزل ، وانه سـيكون بعدنا اقـوام يقرؤن القرآن ولا يدرون فيم نزل ، فيكون لهم فيـه رأى ، فاذا كان لهم رأى اختلفوا ؛ فـاذا اختلفوا اقتتلوا •

حقا لقـد صدق (ابن عباس) فيما قـال وكان التأويل للآيات القرآنية ميداناً فسيحا لجهلاء العرب ومنفذاً لتسرب التقاليد والعنعنات للامم الموتورة فدخل اذ ذاك فى مجتمعنا الاسـلامى من العادات

التى لا تلائم الاخلاق الاسلامية التى كان عليها العرب فى صدر الاسلام .

قد بدأت المصيبة العظمى التى سببت النكبات الكبرى للعالم الاسلامى اولا من (الخوارج) الذين هم شرار خلق الله حيث انطلقوا الى آيات انزلت فى الكفار فجعلوها على المؤمنين . وهذا معنى الرأى الذى نبه عليه (ابن عباس) وهو ناشىء من الجهل بالمعنى الذى نزل فيه القرآن .

كما ان التأويل قد صار سببا لتسرب بعض العادات والتقاليد للامم التى ورثها المسلمون فى بدء الفتح ولما يكون طبعهم مستعدا لقبول الديانة الاسلامية وآدابها واخلاقها فانه صار ستارا لما تكنه انفسهم من الشر اولا الى الدين الاسلامى والى الامة التى بسطت سلطانه عليهم وثانيا تعزيزا لكرامة ما كانوا يعتقدون به فيكونون اذ ذاك وفقوا بين القديم والحديث .

لنعد الى (الخوارج) الذين كما يقول عنهم (عبدالله بن عمر) : انهم شرار خلق الله فانهم جعلوا (مسألة التحكيم) ستارا لاغراضهم الخفية ووسيلة لما تكنه صدورهم من الحقد على (قريش) . حتى ان (على بن ابى طالب) ارسل اليهم (عبدالله بن عباس) رضى الله عنهما للمناظرة فقال بعضهم لبعض : لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم فان هذا ـ يعنون عبدالله ـ من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم (بل هم قوم خصمون) وقال عز وجل (وتنذر به قوما لدا) .

ومما يؤسف له ان الباحثين فى هذه الفئة الآثمة يصوبون حركاتها وما اتته من الهدم والتخريب نحو جهة واحدة من جهات سيادة قريش وبذلك ضلوا واضلونا السبيل .

لم يكف هذه الفئة الآثمة ما اتته من الهدم والتخريب بمعاولها المسمومة كتدبيرها المؤامرة لقتل (على بن ابى طالب) و (معاوية) و (عمر بن العاص) فانها تعدت الى اكثر من ذلك وارادت قلب النظام الاجتماعى الاسلامى من تجويز (الكذب) فى (المقال) و (الافعال) .

واى جريمة اكبر من الجريمة التى ارتكبتها هذه الفئة الضالة من افساد اخلاق المسلمين وهدم ركن من اهم اركان الرجولية وذلك الركن هو (الصدق) فى الاقوال والافعال ولهذا تسربت الينا الاحاديث المكذوبة على النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك .

ارتكب (الخوارج) هذه الجريمة وهى (جريمة التقية) التى يعدونها بمعنى (الوقاية والتحفظ) من رجال الحكومة القرشية حينئذ ففتحوا للاحزاب الفارسية السياسة بابا للولوج فى شأن الامم الاسلامية .

ومع ان الرجولية العربية فى الجاهلية كانت ضد (التقية) ومع ان (القرآن الكريم) أمرنا بالصدق ومع ان الاحاديث النبوية واحاديث الخلفاء الراشدين امرتنا بالصدق فان دخول (التقية) اتتنا - معشر العرب - من الخوارج ومن (الفرس) وهى رأى رآه (دارا) فى المؤامرة التى دبرها مع اصحابه لقتل الغاصب للعرش .

فهى كانت وسيلة للوصول الى هدف معين ٠

ان نظرة واحدة الى المحاورات العنيفة التى جرت بين الخوارج انفسهم حول جواز (التقية) وعدم جوازها ترينا انحطاط الخلق عند معتنقيها و (صلابة الخلق) عند الذين رفضوا القبول بمبدئها وان كانا آثمين ٠ فقد روى انه جاء مولى لبنى هاشم الى (نافع بن الازرق الخارجى) فقال له : ان اطفال المشركين فى النار وان من خالفنا مشرك فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلال ٠ فقال له (نافع بن الازرق الخارجى) : كفرت وادللت بنفسك فاجابه : ان لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلنى (قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) فهذا امر الكافرين وأمر اطفالهم فشهد (نافع) انهم جميعا فى النار ورأى قتلهم وقال الدار داركفر الا من اظهر ايمانه ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاء فعلينا ان نمتحنه وهم ككفار العرب لا نقبل منهم الا الاسلام او السيف و(القعد) بمنزلهم و (التقية لا تحل) فان الله تعالى يقول (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية) وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم (يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فنفر جماعة من الخوارج عنه منهم (نجدة بن عامر) واحتج عليه بقول الله عز وجل (الا ان تتقوا منهم تقاة) وبقوله عز وجل (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) ٠ فصار الشقاق بين (الخوارج

وتشيع قسم منهم لنافع والقسم الآخر لنجدة .

وكان من رأى (نافع) هذا التصريح فى المبادىء ونشرها ويقول ان (التقية) لا تجوز فى قول او عمل .

ذكرنا لك فى مقالنا السابق الفضيلة الاسلامية العليا كما أتت فى صدر الاسلام .

وذكرنا لك فى مقالنا هذا كيفية انحطاط اخلاق المسلمين فى اواخر عهد الخلفاء الراشدين ومنهما تعلم السبب الذى ادى الى تدهور هذه المبادىء الشريفة ومنهما تعلم العلة التى رمت الآداب الاسلامية الى الوراء .

والدين الاسلامى دين الهى ابدى يبقى ما بقى الملوان وكر الجديدان .

والدين الاسلامى دين الهى سرمدى بنى على اساس الفضيلة الكاملة والدين الاسلامى دين الهى يشع على العالم بنوره الربانى الذى يبعث فى نفوس معتنقيه الفضيلة الكاملة والرجولية الحقة .

———:o:———

ثورتنا

من المقرر عند علماء الانقلاب الفكرى ان الجمهور يعلم ما لا يحتاج اليه وانه يجهل ما يحتاج اليه لهذا نرى قادة الافكار ينشرون آراءهم لارشاد الجمهور الى الطريقة الناجحة حسبما يراهـا المفكر فعندما تختمر الفكرة ترى الشعب يموج من حيث يدرى او لا يدرى وترى الاضطراب يسـود البقعة ثم يعقبـه اصطـدام بين الجمهور والحكومة فاما انقلاب واما اطفاء جذوة الثورة ٠

فالقرن السـابع عشر يرينا (روسـو) فى (فرنسـة) قبل الثورة ويرينا فى انكلترة ميلتن وهارينكتن ولوك وفى المانيا ترينا الحوادث آثار آراء لاسال وماركس وكتاب الاشتراكية وفى روسية ترى آثار باكونين وتولستوى وكروبتكين وغيرهم من الثوار الهدامين ٠

والمسؤولون عن وقـوع الثورات وحوادث الاضطـرابات فى البلدان هـم الذين يديرون شؤون الدولة وحدهـم ٠ لان السبب الرئيسى لحدوث الثورات فى العالم اما ان تكون الصلة بين الحكومة والشعب منقطعة واما ان يكون قسم من الشعب غير مشترك فى العمل معها او تكون الحكومة غير مكترثة بالقسم العامل فيه وغير حاسبة لاعماله حسابا لهذا تجد داهية العرب (معاوية) [٣] يقول :

نشرت فى جريدة الاستقلال ٠

(٣) كان معاوية من دهاة العرب وكان يقول عمر بن الخطاب فيه : احذروا آدم

ولو ان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا مدوها جذبتها واذا خلوها مددتها وكلمة الناس تعم كل الطبقات الشريفة والوضيعة الغنية والفقيرة المتدينة والجاهلة فهى تشمل الذى يشتغل بالدين وبالاقتصاد وبالسياسة فلو انقطعت الشعرة هذه مع رجال الدين حدثت ثورة دينية مثلا وهكذا لو انقطعت مع غيرهم وهذه الخطة التى تبعها (معاوية) ترينا المثل الاعلى فى السياسة العالمية وترينا سبب نجاحه فى معتركه السياسى .

فشبابنا العربى الذى تأثر فى فروق من تحزب الاتراك لطورانيتهم دفعهم ماضى العرب المجيد الى العمل من أجل الاستقلال وهذا الماضى المجيد خير كفيل لضمان المستقبل المجيد وانها لفكرة حسنة

قريش وابن كريمها من لا ينام الا على الرضا ويضحك فى الغضب ويأخذ ما فوقه من تحته . واغلظ له رجل فحلم عنه فقيل له : أتحلم عن هذا ؟ فقال : انى لا احول بين الناس وبين السنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا .

وكان من عادته ان لا يولى احدا حتى يوصيه فلما ولى ابن أخيه عبيدالله بن زياد على خراسان اوصاه فكان من الوصية : واذا لقيت عدوك فغلبوك على ظهر الارض فلا يغلبوك على بطنها فكان عبيد الله اول عربى عدا نهر جيحون الى بخارى وكان بتلك الدروس المشجع لمروان على الخلافة فقد قيل عنه لما خرج من العراق وكان فى طريقه الى الشام يتمنى ان يقدم الشام ولم يبرموا امرا . . .

فقال بعضهم : قدم الشام ولم يبرموا امرا فكانما كانوا معه صبيانا وقال بعضهم : قدم الشام وقد ابرموا فنقض ما ابرموا الى رأيه .

وكتب الوليد الى الحجاج يأمره ان يكتب اليه بسيرته فكتب اليه : انى ايقظت رأيى وأنمت هواى فادنيت السيد المطاع فى قومه ووليت الحرب الحازم فى أمره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل خصم من نفسى قسما يعطيه حظا من نظرى ولطيف عنايتى وصرفت السيف الى النطف المسيىء والثواب الى المحسن البرىء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب .

وانها لمفخرة من مفاخر الدهر وانها لحركة مباركة .

بيد ان الثورات لن تنجح قط ما لم يرجبها (رأى عام) قوى تخر له الجبابرة وتذعن له الطغاة .

يرينا التأريخ ان الثورات المادية يجب ان تسبق بثورة فكرية وعندما تقوم الثورة المادية باعمالها يجب ان تكون اليد التى تدير الاعمال قوية وقادرة على تسيير الامور كيفما تريد وان تكون تلك اليد ماهرة فى تغذية الافكار العامة كيلا يكل الجمهور فى مساعيه فتحبط كل الاعمال .

قد تكون الثورة دينية وقد تكون عنصرية وقد تكون الطبقة الغنية وحدها قائمة بها وقد يشترك فيها السواد الاعظم وقد لا يشترك اذ المهم فى نجاحها ان تكون اليد التى تديرها قادرة على ادارة الافكار الى الغاية التى صارت بسببها الثورة .

لقد ظهر فى زماننا (هتلر) وهو من الاشتراكين الالمانيين فالباعث لحركاته وحركات حزبه العوامل الاقتصادية والعنصرية ولما رأى اليهود مالكين ازمة الامور الاقتصادية وغيرها صرح جهارا : لا اريد ان أرى آثارهم حتى الوصايا العشر ولهذا نراه يحاول انتزاع كل ما علق بالعقلية الالمانية على كر العصور من اعتقادات وافكار تدع الالمانى يطمئن الى العنصر اليهودى فهو لا يسمح ان تذاع بين الجمهور رواية يجعل مؤلفها مثله الاعلى والبطل فيها يهوديا كذلك الاغانى وما يتصل به ويؤثر فى اخلاقه

حتى ان رجال الدين فى المانية ادخلوا تعديلات دينية تساير روح النازية وبذلك بدلوا وصايا (موسى) عليه السلام بوصايا جديدة كقولهم : اكرم الله كأساس لهذا الكون ، اكرم السلف واعتز بهم وسر على غرارهم ، اكبر عظماء الرجال من الامة الالمانية وامتدحهم ابذل الطاعة للوالدين ، حافظ على طهارة العنصر من الامتزاج بعنصر آخر اجنبى ، اخلص للبلاد واستعد للبذل فى سبيلها ، اصدق فى كل شيء .

لنعد الى ثورتنا القومية التى بذل فى سبيلها شبابنا كل ما قدروا عليه ولندرس بواعثها واعمالها وما انتج ذلك العمل الذى نرجو من الله الكريم ان يجعله مكللا بالنجاح .

تربى شبابنا الذى قام بثورة (٩ شعبان) تربية عثمانية ونشأ على هذه الفكرة فلما دب دبيب الطورانية عند الاتراك فى فروق وأخذ الاتراك يجاهرون بكلمة تطهير اللغة التركية من الكلمات العربية اخذت النخوة العربية تلعب فى ادمغة شبابنا الذين كانوا فى المدارس ولم يكن لدى الشباب ما يدربهم بالثقافة العربية ويدفعهم الى طريق الاستقلال فى لغتنا العربية سوى ما كتبه عبد الرحمن الكواكبى وما نشره جرجى زيدان من رواياته التى كانت تدور بين ايديهم واظهرت لهم بان لهم مجدا قديما وتراثا جسيما وعزا شامخا جديرا بان يكون كافيا لضمان الحرية والاستقلال المنشود وكانت الامور والحوادث السياسية تعمل عملها القاسى فى

المملكة العثمانية فلم يكن لدى الشباب سعة من الوقت لبث الافكار في الاقطار العربية لتكون (رأيا عاما) يساند الشباب فيما اذا قام بحركة استقلالية فكان ضابط الجيش العراقي يقوم بواجب الدعاية حينما تسنح له الفرص وحينما يجتمع احدهم باخوانه العرب المنحصرين في العراق وسورية وغيرها .

اعلنت الحرب العامة واشترك شبابنا في اذكاء نارها في يوم — (٩ شعبان) المقدس فلما لعبت السياسة الاستعمارية ادوارها كان (الرأى العام العربي) غير متهيىء للتكاتف مع سعي الشبان وما يحمله من الافكار الحرة الاستقلالية فكانت الحركة مبتورة بطبيعة الحال وكان اقسى وصف لحالة بعض البلدان ما كتبه القائد الانكليزي (طوزند) عن حروب العراق حيث يقول : لقد وجدت هؤلاء العرب طيلة الحركات التي قمت بها في العراق بلا رحمة ولا ثبات ويشهد على قولي هذا اعمالهم بعد حرب القرنة ومطاردتنا للاتراك الى العمارة اذ كانوا يذبحون الجنود الاتراك من كل جانب وكان هؤلاء القوم ينضمون الى الجانب الذي يتوسمون فيه الفوز على خصمه .

واما الجانب التركي فيقول عنا معشر العرب العراقيين (مقبل بك) : ان القبائل العربية في العراق كانت تارة مع الترك وتارة مع الانكليز وهي حاضرة للانقلاب على الجانبين ولانتهاب الطرف الذي لم يساعده الحظ فينال النصر ولذبح الجند من اى جانب كانوا

من غير تفريق بين هذا وذاك .

ولولا اعتقادنا القوى ويقيننا الراسخ بان فكرة الاستقلال كانت مبنية على الرجاء بالنجاح لكنا ضربنا صفحا عما قيل ويقال عنا وعنها اما وانها كانت مبنية على الرجاء اما وانها كانت عقيدة مقدسة عند شبابنا المتحمس لها فذكر هذا الوصف الذى يندى جبين العربى خجلا مما يراه الباحث عاملا كبيرا فى عدم نجاح الفكرة المرجو نجاحها فثورتنا المقدسة التى سفكنا فيها الدماء وثورتنا المبتورة التى لم يسمح لنا الوقت بتهيئة (رأى عام عربى) يساند القائمين بها وثورتنا التى لا يزال القائمون بها احياء فى وادى الرافدين وثورتنا التى انتجت لنا الدولة الوطنية العربية فى العراق فى حاجة الى دورها الخطير الذى يضمن لنا البقاء فى الحياة السياسية والذى يكفل لنا القيام بواجب الارض التى حبسها (عمر بن الخطاب) على العرب وذراريهم وذلك الدور الحيوى يا ابناء (٩ شعبان) تهيئة العرب الى رأى عام عربى فى وادى الرافدين .

عربنا

ان الامم التى تعتز بماضيها المجيد يكون مستقبلها مكللا بالنجاح حيث الماضى الغابر يكون خير ضمان للمستقبل الزاهر . واذا اعتقدنا بصحة القول المأثور (على قدر أهل العزم تأتى العزائم) فالعربى العراقى فخور بماضيه المجيد ويحق له ان يفخر على اخوانه العرب فى باقى الاقطار .

قد كان العراق العربى عدا كونه موطنا اصليا للمدينات السامية غرة فى جبين العز والسؤدد والاباء والشمم للامة العربية .

لما ضرب (عدنان بختنصرا) فى (ذات عرق) اخذت القبائل العدنانية بالظهور وكانت قبيلة (اياد) من عقبه فظهرت هذه القبيلة بمظهر السيادة على بعض القبائل واعتزت بما لديها من القوة والمنعة والبأس فأخذت بالتوسع رويدا رويدا حتى كانت (انقرة) يوما من الايام من منازل (اياد). ولم تكتف (اياد) بما نالته من توسع سلطانها المادى بل أسست (دار العدل) [1] فى ظاهر الحيرة لحل المنازعات القبلية واحقاق الحق ، وكفاها فخرا ويحق لعرب العراق ان يفخروا بان نبغ فيها (لقيط) الذى لا يعرف له شعر غير القصيدة التى يقول فيها :

فقلدوا امركم لله دركم ... رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا

نشرت فى جريدة الاستقلال .

(١) انظر الملحق الاول فى آخر الكتاب .

لا مترفا ان رخى العيش ساعده ولا اذا حل مكروه به خشعا
مسهد النوم تعنيه اموركم يروم منها على الاعداء مطلعا
ما انفك يحلب هذا الدهر اشطره يكون متبعا طورا ومتبعا

تلك القصيدة الخالدة التى لا تزال فى روعها وجدتها كأنها منار لمن يلقى السمع وهو حريص على كرامته العربية .

ويحق لعرب العراق ان يفخروا باياد وقوم اياد وخطيب اياد الذى يقال انه اول من علا على شرف وخطب عليه واول من قال فى كلامه (اما بعد) واول من اتكأ عند خطبته على سيف او عصا وان الرسول صلى الله عليه وسلم ادركه ورآه بعكاظ فكان يأثر عنه كلاما سمعه منه ولما سئل عنه قال : (يحشر امة واحدة) وذلك الرجل (قس بن ساعدة الايادى) .

ولم يكن نصيب العرب اليمانيين بأقل من نصيب العدنانيين بل كان لهم القدح المعلى فى نشر الثقافة بين القبائل العربية ؛ ففازوا بالسهم الصائب من بين سائر القبائل حيث تجلت روح الابتكار وزهت النزعة الاستقلالية فى ثلاثة نفر من (طى) فى (بقة) الواقعة فى (بزايز ابو غريب) .

دفعت هذه النزعة الشريفة (مرامر بن مرة) و (اسلم بن سدرة) و (عامر بن جدرة) الى وضع الخط فقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية التى كانت منتشرة فى العراق فوضعوا الخط العربى المبين

فتعلمه منهم قوم من اهل (الانبار ـ الفلوجة) ثم تعلمه اهل الحيرة من اهل الانبار ثم ذهب الخط العربى الى الحجاز ومنه سار الى باقى الاقطار .

ولا غرابة فى ذلك فقد نبغ فى العراق شعراء بزوا اخوانهم فى الاقطار الاخرى كما ان (ملك العراق) العربى كان يتفقد (سوق عكاظ) ويضع الجوائز للفائزين من الشعراء .

ولم تكن (ربيعة) بالقبيلة التي لا يحسب لها حساب بين القبائل بل كانت من العزة والقوة والبأس بمكان يحسدها الملوك . ولا غرو فقد كانوا كما قال شاعرهم اليشكرى :

وزن الاحلام ان هم وازنوا صادقو البأس اذ البأس نصع
وليوث تتقى عرتها ساكنو الريح اذا طار الفزع
فبهم ينكى عدو وبهم يرأب الشعب اذ الشعب انصدع
عادة كانت لهم معلومة فى قديم الدهر ليست بالبدع

حتى بلغ من (بكرى) ان يقول للنعمان بن المنذر عن (بكر) انهم (وعلى من اظلت السماء يفخرون) . واخذت النزعة الاستقلالية بعمرو بن كلثوم (ان يحلف با له ربيعة) فجعل له ولقومه معبودا خاصا . وكان (معاوية) يفخر بقصيدة (عمرو بن كلثوم) هذا وبقصيدة (الحارث بن حلزة اليشكرى) وكلاهما وائليان وكلاهما عراقيان وبلغ من بنى تغلب بن وائل انهم كانوا اشد الناس فى

الجاهلية حتى قالوا : (لو ابطأ الاسلام قليلا لاكلت بنو تغلب الناس). و (طرفة بن العبد) الوائلي وما ادراك ما طرفة ! فقد كان اشعر الشعراء بعد امرىء القيس ومرتبته ثاني مرتبة ولهذا ثني بمعلقته .

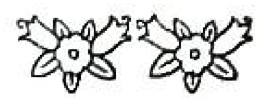
يفخر العربي العراقي بماضيه ويرفع رأسه عاليا بنصيبه الوافر من اعمال العرب الباهرة التي كان يحكمها رأي سديد والتي كان يديرها فكر رشيد . فالعربي العراقي لا ينسى قول (هاني بن مسعود بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن ذهل بن شيبان) الذي ابداه في واقعة (ذي قار) حيث كان : يا قوم ! مهلك مقدور خير من نجاء معرور وان الحذر لا ينفع من القدر وان الصبر من اسباب الظفر ؛ المنية ولا الدنية واستقبال الموت خير من استدباره والطعن في الثغر اكرم من الطعن في الدبر .

يا قوم ! جدوا فما من الموت بد فتح لو كان له رجال ، اسمع صوتا ولا ارى قوما ، يا آل بكر ! شدوا واستعدوا والا تشدوا تردوا .

بهذا الرأي السديد وبتلك العزيمة الماضية وبنفوس الشيبانيين الابية كسب عرب العراق الظفر في تلك الواقعة فلما قسمت الغنائم وكان نصيب النساء اللطائم قال شاعرنا العربي :

ان كنت ساقية يوما على كرم   فاسقي فوارس من ذهل بن شيبانا
واسقي فوارس حاموا عن ديارهم   واعلي مفارقهم مسكا وريحانا

هـــذه مآثر عرب العراق وتلك مفاخرهم وان كان العراق موطنا لربيعة فى الجاهلية فقد سنت (ربيعة) سنة لقومها العرب حيث كانت (لا تسبى) وايدها (عمر بن الخطاب) فقال : (لا سباء على عربى) وقد حبس (عمر بن الخطاب) أرض العراق على العرب وذراريهم الى يوم الناس وقد جعلها امانة فى عنق كل عربى يقطن بالعراق ونحن معشر العرب ان شاء الله عند حسن ظن (عمر بن الخطاب) فينا افلا يحق لنا ان نفخر بماضينا ونقول عربنا عربنا .



عراقنــــا

اذا كان فى الكون دولة ارتبطت بماضيها القديم الذى يربى على آلاف السنين فهى الدولة العربية العراقية .

واذا كان فى الكون شعب يرتبط بماضيه القديم الذى يربى على آلاف السنين فهو الشعب العربى العراقى .

واذا كان فى الكون امة تعتز بنقاوة دمها الذى يقذف بالدولة تلو الدولة فهى الامة العربية ودولها فى العراق .

فعراقنا قديم والعرب قدماء فى العراق فقـد كان العراق يوم كنا وقد كنا يوم كان العراق .

وقد اثبتت الحفريات فى (اور) ان العراق كان موطن العرب الاصلى .

كما اننا ادللنا ببراهين قاطعة على ان العراق ما زال ولا يزال ولن يزال الى يوم الناس موطنـا للعرب من ابناء الجزيرة العربيـة المباركة .

بيد ان وضع العراق الجغرافى يجعله فى حالة غير مستقرة وان وضع العراق الجغرافى يتطلب من ابنائه العرب سعى الجبابرة واعمال الطغاة .

وان وضـع العراق الجغـرافى الـذى تقـرر من قبل (عمر بن

الخطـاب) (١) بان يكون للعرب وذراريهم الى يوم الناس يتطلب السياسة العربية الاسلامية لاجل بقائه مورد عيش لابنائه العرب ولمن تقذف به الجزيرة العربية المباركة من ابناء العرب .

واذا أخذنا حالة العرب فى العراق بعد تشكيل الدولة العربية الاسلامية فيه كمثال لماضيه فاننا نكاد نعرف الصعوبة التى كابدتها والمشقة التى عانتها دولة (حمورابى العربية البابلية) .

فبعد إن ضربت (دولة حمورابى العربيـة) الجيش الـذى اتاها غازيا من الشرق والذى تجمهر فى جبال (زاغروس) او جبال (الزار) وشتت شـمله اخذت فلول ذلك الجيش تتسلل الى العراق واخـذ يخدم اهله فى المهن الحقيرة الى ان قوى أمره واشتد ساعده فقلب لاهل العراق ظهـر المجن وشـكل دولة (الكوسانيين) فى (دور كوريكالزو) او فى (عقرقوف) الحاضرة .

والعراق لا ينسى وقوف المدنيـة فيـه حينما تشكلت الـدولة (الكوسانية) .

والعراق لا ينسى وقوف المدنية العربية الاسـلامية حينما أتاه (المغـول) وما سبق مجيئهم من الثـورات و (الارجاف) فالوضـع الجغـرافى للعراق يعطى درسـا لابناء (٩ شـعبان) عن ماضيه قبل الاسلام .

---

(١) نود ان يعلم الفتى العربى العراقى ما ذكره الزمخشرى فى اساس البلاغة فى عمر حيث قال : وكان عمر رضى الله عنه محدثا اى صادق الحدث كأنما حدث بما ظن ج ١ ص ١٥٨ .

والوضع الجغرافى للعراق يعطى درسا لابناء (٩ شعبان) عن ماضيه بعد الاسلام .

ففى محرم الحرام للسنة الثانية عشرة للهجرة سار الى العراق (خالد بن الوليد) بامر من (ابى بكر) رضى الله عنه وكانت (الحيرة) حاضرة العرب فيه كما ان (المثنى بن حارثة الشيبانى) كان فى ارض الكوفة وكانت منازل العرب تمتد على دجلة وكان قسم من العرب يقطن بالاهواز كما ان قسما منهم يسكن (الدور) فى الجانب الشرقى وفى مقاطعة (النهروان) .

وكانت (الحيرة) منزلا للعرب المتحضرة ؛ وكانوا متعلمين ويمكننا ان نقول انها كانت على جانب عظيم من الثقافة وكانت الامية لا وجود لها عند اهلها .

وكان زعيم العرب فيها (اياس بن قبيصة الطائى) فصالحهم (خالد بن الوليد) وكان عددهم سبعة آلاف فاخرج (خالد) الفا منهم لانه كانت فيهم (زمانة) ووضع الجزية على الستة آلاف فدفعوا له ستين الفا .

وفى السنة السابعة عشرة مصرت (الكوفة) بامر من (عمر) وحبس أرض العراق على العرب وذراريهم الى يوم الناس ..

وبعد ان فتح الله على العرب (نهاوند) فى العام الحادى والعشرين للهجرة وشتت شمل المؤتمرين على (عمر) وقومه كثر نزوح العرب الى المصرين (البصرة والكوفة) حينئذ وشكا اهل البصرة الى عمر قلة

ما يصيبهم من خراجهم مما افتتحوه فى بلاد فارس وقابل تلك الشكاية اهل (الكوفة) فعدل (عمر بن الخطاب) فتوح اهل الكوفة والبصرة بينهم وكان ذلك فى السنة الثانية والعشرين ٠

اختطت الكوفة فى السنة السابعة عشرة للهجرة وانزلها (عمر بن الخطاب) مائة الف من العرب الاقحاح (٤) ولكن بعد ان قرر (مؤتمر نهاوند) قلع (الكوفة والبصرة) و (اشغال عمر فى بلاده) نرى (عمر بن الخطاب) يقول : (واى نائب اعظم من مائة الف لا يرضون عن امير ولا يرضى عنهم امير) ثم نرى بعد ذلك انه يقتل بمؤامرة وان قاتله (ابو لؤلؤة) النهاوندى ٠

اصبح (العراق بلد الارجاف) وطغت عليه الفوضى فقامت فئة الخوارج الذين هم شرار خلق الله ودبرت مؤآمرة لقتل صناديد قريش وسادة العرب وكان (عمرو بن العاص) نصيب (زادويه المولى) من موالى (بنى العنبر) ٠

سادت الفوضى القطر العراقى وبقى مسرحا للحروب وميدانا

---

(٤) لقد حاول عمر بن الخطاب ان يجعل الصلة متينة بين العراق والمدنية المنورة لهذا بعث عشرة من الانصار الى الكوفة ليقيموا بها ويثقفوا اهلها وكان احدهم (قرظة بن كعب) الذى ورد المدائن فى صحبة على بن أبى طالب لما سار الى صفين وكان على راية الانصار يومئذ ٠ الخطيب ج ١ ص ١٨٥ كما انه ارسل عشرة ايضا الى البصرة منهم ثابت بن زيد الذى شهد احدا والمشاهد بعدهما وكان احد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ ج ٩ ص ٧٧ ٠

ونقل ابن أبى الحديد ج ٢ ص ٥٣٩ كتاب عمر الى اهل الكوفة وكان ما يأتى : اما بعد فانى بعثت اليكم عمارا اميرا وعبدالله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء من اصحاب محمد فاسمعوا لهما واقتدوا بهما فانى قد آثرتكم بعبد الله على نفسى أثرة ٠

للنزاع بين العرب والموالى حتى كان (الحجاج) فضربهم الضربة القاضية فكان الحكم ان يكون العراق عربيا .

ثم عادت الكرة وزاد (الارجاف) فيه وانتهى الحكم العربى فيه بانتهاء دولة امية فى واقعة (الزاب) وكان آخر ملوك امية (مروان بن محمد) ملتجأ الى اخواله (الاكراد) فدفع حياته ثمنا للنصر الذى فاز به العرب فى واقعة (القادسية) .

قامت (الدولة العباسية) ولم تكن قائمة على العنصرية العربية المحضة فانتشر (الارجاف) فى (الهاشمية) ثم فى (الانبار) ثم فى (بغداد) . وظل (الارجاف) وسيلة من وسائل الهدم فى العراق حتى ماتت الدولة العباسية .

نشأ شباب (٩ شعبان) فى العراق وترعرع فيه ولم ير اثرا من (الارجاف) زمن الاتراك حتى صارت الحرب العامة فعادت سياسة (الارجاف) وعادت عادة الشكوى والتذمر وعادة سياسة (الطعن) والعراق عربى ونحن عرب مسلمون ولا يجوز لنا معشر العرب حكومة وشعبا ان ننبذ القرآن وتعاليمه وراءنا ظهريا .

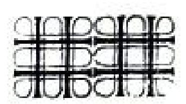
يحدثنا (القرآن الكريم) ان فيه (سورة الاحزاب) وتحدثنا (السيرة النبوية) انها انزلت فى الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول السورة فيهم :

« لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى

المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

هذه هى الآداب الاسلامية التى وردت فى كتابنا المنزل وهذه هى العبر التأريخية التى حدثت فى عراقنا العربى الاسلامى و « القرآن الكريم » يقول فى سورة نبيه (محمد) صلى الله عليه وسلم :

« ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ونبلوا اخباركم » .



عصبتنـــــا

ان فخرت امة بجهادها القومى فعرب العراق اولى بذلك وان اعتزت امـة بمجدها الغابر فلربيعة العراق ان ترفع جبينها الناصع قائلة هل من نظير ؟

فعرب العراق افذاذ فى الكون وتاريخهم فذ فى البشرية وبقاؤهم فى الحياة سر من اسرار الله وبطولتهم العالمية تشهد لهم بها التواريخ وبعد هـذا وذاك نرى نقاوة الدم الذى بقى محفوظا مئات السنين وفوق كل ذلك بقيت (العصبة) الطاهرة حية نامية وستبقى حية نامية الى يوم الناس ٠

ففى الوقت الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهـد المشركين فيه لاعلاء كلمة الله كان عرب العراق يجاهدون فيـه الفرس لاعلاء شأن العرب فيه ٠

وكانت غاية الفريقين واحدة وكانت نتائج عمل الاثنين واحدة وكان الفوز حليفا للاثنين حتى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغه انتصار عرب العراق على الفرس وكان يجاهد المشركين من قريش قال : (اليوم انتصفت العرب من العجم) ٠

وكانت الروح التى تدفع امهـات العرب فى العراق للجهـاد القومى فى (واقعة ذى قار) التى قال عنها النبى صلى الله عليه وسلم

شرت فى جريدة الاستقلال

ما تقدم ، لا تزال عين الروح التى تدفع امهات العرب لاجل الجهاد الاسلامى فى القادسية . فقد كن ينشدن فى الاثنتين :

ان تهزموا نعانق ونفرش النمارق
او تهربوا نفارق فراق غير وامق (٥)

وقد ابلى عرب العراق بلاء حسنا فى تلك الواقعة حتى ان سبعمائة من الشيبانيين قطعوا ايدى اقبيتهم من قبل مناكبهم لان تخف ايديهم بضرب السيوف ولما قدمت الوفود المدينة فى العام التاسع للهجرة كان وفد ربيعة والشيبانيين معهم . فلما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب (المثنى بن حارثة الشيبانى) الى أبى بكر قائلا له : امرنى على من قبلى من قومى اقاتل من يلينى من أهل فارس واكفيك ناحيتى .

ولما تولى القيادة العامة (خالد بن الوليد) فى العراق وكان جيشه عشرة آلاف انضوت (عصبة المثنى) اليه وكانت عدتها ثمانية آلاف فصار المجموع ثمانية عشر الفا فتم انضواء عصبتنا العربية العراقية الى راية قريش تحت قيادة (خالد بن الوليد) وتحت زعامة (أبى بكر) وكان ذلك فى شهر محرم الحرام المبارك وفى سنة اثنتى عشرة للهجرة .

---

(٥) يرى التبريزى الشيبانى ان الابيات قيلت فى يوم التحالق فى العراق وانها لبنت الفند (شهل بن شيبان) ج ٢ ص ٨٤ .

ونظرا الى ما رواه فان هذه الابيات انتقلت من العراق الى الحجاز فقالتها (هند بنت عتبة) .

تطورت (عصبة المثنى) بانضمامها الى (خالد بن الوليد) من جهادها الاقليمى الى جهادها القومى الاسلامى واخذت تتحمل اعباء المسؤولية الكبرى عن قومها العرب لاعتقادها التام بشخصيتها القوية وليقينها الراسخ بقدرتها على القيام بذلك .

ولما امر ابو بكر خالد بن الوليد بالمسير بنصف الناس الى الشام وان يستخلف على النصف الآخر (المثنى بن حارثة الشيبانى) قال خالد للمثنى : (ارجع رحمك الله الى سلطانك فغير مقصر ولا وان) فاقام (رئيس عصبتنا) بالحيرة التى كانت دار امارته وكان يتوقع ان الفرس يجمعون له جموعا لا يقدر على مقاومتها فخلف على الجند « بشير بن الخصاصية » وخرج الى المدينة ليخبر ابا بكر خبر المسلمين واعدائهم وليستأذنه فى الاستعانة بمن قد ظهرت توبته وندمه من اهل الردة وليخبره انه لم يخلف احدا انشط الى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم .

فلما قدم (رئيس عصبتنا) المدينة كان (ابو بكر) فى مرضه الاخير فاستدعى (عمر) وقال له اسمع يا عمر ما اقول لك ثم اعمل به انى لارجو ان اموت من يومى هذا فان انا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى وان تأخرت الى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة وان عظمت عن امر دينكم ووصية ربكم وقد رأيتنى متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت ولم يصب الخلق بمثله وبالله لو انى انى عن امر الله وامر

رسوله لخذلنا ولعاقبنا ...

فلما توفى ابو بكر قام (رئيس عصبتنا) خطيبا فى المدينة وقال : ايها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فقد تبجبجنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقى السواد وشاطرناهم ونلنا منهم واجترأ من قبلنا عليهم ولها ان شاء الله ما بعدها .

عاد (رئيس عصبتنا) الى سلطانه وكان شديد الايمان بالفوز وكان حريصا على كرامته العربية منكرا ذاته فى سبيل صالح قومه العرب ومما قاله لقومه العرب وهو يتعهد صفوفهم : انى لارجو ان لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم والله ما يسرنى اليوم لنفسى شيىء الا وهو يسرنى لعامتكم .

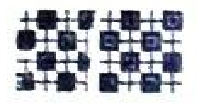
جرح « رئيسنا » فى واقعة الجسر وختمت حياته فى هذا العالم الفانى ولكن نفسه الكبيرة ابت ان تموت فهو وان قبر بدنه تحت الارض فان روحه الطاهرة ظلت ترفرف فوق ساحات الحرب العراقية لترى نتائج الخطط التى رسمتها ولتشاهد عمل قومها العرب لاجل راية (الله أكبر) لانه لما شعر بدنو الاجل جاشت نفسه العظيمة فنفث وصيته الى (سعد بن أبى وقاص) التى قال فيها : ان لا يقاتل الفرس الا فى اطراف بلاد العراق مما يلى البادية وان يلاقيهم فى القادسية وان يتيقظ لخديعة الفرس ومكرهم .

وافقت الوصية رأى الخليفة (عمر بن الخطاب) فجاء كتابه الى (سعد) يوصيه بمثل وصية (رئيس عصبتنا المثنى) .

ظلت جيوش (الله أكبر) تلتهم الاعـداء فيرتفع صوتهـا فكان النصر في (القادسية) ثم تلاه ارتفاع صوت (الله أكبر) لما جمعت اول جمعة بالعراق في المدائن في صفر من السنة السـادسة عشرة للهجرة .

ظل نداء (الله أكبر) مرتفعا في العراق وفي غير العراق كل يوم جمعة وظلت (عصبة المثنى) مثابرة على ديدنها القديم لرفع كرامة قومها العرب في العراق وفي غير العراق وكاد يتم لها الظفر المبين لو ان الحرب العامة تأخرت بضع سنين . وكاد يفوز اهلها بالنجاح المبين لو انتبه ابناء (٩ شعبان) قبل الحرب بعدة سنين وكاد يكون كل شيء قد تم لو ان الله اتاح للعرب من ابنائه من يرشدهم الى الطريق السوي بصراحة العربي المعهودة .

وبما ان ثورة ٩ شعبان كانت سليلة روح المثنى بن حارثة الشيباني وكانت مبنية على الايمان بالنجاح والفوز في المعترك القومي فانها سوف تتوج باكليل الظفر طالما ينادي المنادي كل يوم جمعة بكلمة (الله أكبر) .



واجبنـــــا

من الامـور التى بقيت فى عراقنـا العـربى غير مرتكزة على اساس قويم وغير مستقرة على دعائم ثابتة والتى لا تزال فى دور التموج بل لا تزال فى مفترق الطرق هى (مسألة السياسة العربية) الحاضرة وربطها بماضيها القديم .

واذا قلنا السياسة العربية فى العراق فاننا لا نعنى السياسـة للبقعة العراقيـة فى حدودها الحاضرة كمـا ارغمتنا الامـم على الخضوع للسياسة العالمية . بل انا نقصد السياسة العربية حسب المبدأ الذى كان عند ابناء (٩) شعبان ، وحسب السياسة العربية الاسلامية التى جعلت من العراق مركزا للسياسـة العربيـة العامة كمـا قرر ذلك (عمر بن الخطاب) ونزيد على ذلك اننا نقصد من (السياسة العربية) كلمة تشمل تراثنا الادبى والمادى فى كل الادوار التاريخية سواء اكان فى عهد اسكندر المكدونى ام فى عهد الاشوريين ام فى عهد حمورابى ام فى عهد سرجون الاكدى .

ورجالات العراق الذين كان لهم الاثر المحمود قبـل الحرب العامة والذين لا يزال اثرهم فى السياسة العراقية ملموسا بيد كل فرد من افـراد العراق والذين لا يزالون كما كانوا قبـل الحرب يمشون على ما فى جبلتهم من السجية ، قسمان : قسم يعمل صامتا

نشرت فى جريدة الاستقلال

والقسم الآخر يعمل جهارا .

دارت الايام وتشكلت الدولة العربية فى العراق وظلت سياسة الزعماء كما كانت وبقى عرب العراق كما كانوا فى عهد زعيم عصبتنا (المثنى بن حارثة الشيبانى) ولهذا يطبق المثل العربى علينا وعلى اوضاعنا (ما اشبه الليلة بالبارحة) .

فقد اشترك (المثنى) فى واقعة (ذى قار) واشترك المثنى فى (الوفد) الذى وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم من عرب العراق وتولى المثنى الزعامة العربية فى العراق فى الوقت الذى كان يجاهد فيه ابو بكر ويجهز البعوث وقد قبل عرب العراق امارته .

(ما اشبه الليلة بالبارحة) تولى المثنى الزعامة العربية فى العراق وكان فيها من ارتد من العرب وكان يقوم بواجبين قوميين حرب الفرس واقناع المرتدين للدخول فى الجامعة الاسلامية وكان لذهابه الى المدينة اثناء وفاة ابى بكر اثره المحمود فى السياسة العربية فقد كان ابو بكر لا يستعمل اهل الردة ولكن فتانا المثنى ورئيس عصبتنا اقنع عمر بن الخطاب باستعمال من ارتد من عرب العراق فى الحروب الفارسية ففعل ولكنه لم يؤمرهم .

ولم يكن الفرق بين المسلمين والمرتدين من العرب عظيما جدا كما يتصور الناس بل كانت مسائل سياسية اختلفا بالرأى فيها وكانوا جميعا ـ المسلم والمرتد ومن بقى منهم نصرانيا ـ متحدين فى الجهاد القومى . يروى لنا التأريخ (ان طليحة الاسدى) قد ارتد ،

ويروى لنا التأريخ ان (خالد بن الوليد) سأل رجلا عالما بأمر طليحة هذا فقال له شيئا من اقواله وكان منها : والحمام واليمام والصرد الصوام قد ضمن قبلكم باعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام • ويروى لنا التأريخ ان طليحة هذا اشترك فى واقعة القادسية ويروى انه تجسس للجيش العربى فيها ويروى انه تجسس ايضا فى واقعة (نهاوند) ويروى ايضا انه خرج يوما من الايام للتجسس فى (نهاوند) فابطأ على القوم وقالوا : ارتد الثانية ولما عاد كبر الناس • فقال : ما شأن الجمهور ؟ فاخبروه بالذى خافوا عليه فقال : والله لو لم يكن دين الا العربية ما كنت لاجزر العجم الطماطم هذه العرب العاربة •

ويروى لنا التأريخ ايضا انه لما كان رئيس عصبتنا المثنى يقاتل فى سبيل قومه العرب المسلمين اتاه انس بن هلال النميرى فى اناس من النمر نصارى [٦] وجلاب جلبوا خيلا وأتاه ايضا عبدالله بن كليب بن خالد بن مردى الفهر التغلبى فى اناس من بنى تغلب نصارى وجلاب جلبوا خيلا وقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم : نقاتل مع قومنا •

كما ان نصف الجيش العراقى ذهب مع خالد بن الوليد وحضر

---

(٦) كانت العصبية العربية قوية فى العراق زمن الجاهلية وكانوا ينظرون الى العصبية القبلية والقومية نظرة اكبار وتقديس فهم عرب قبل كل شىء سواء أكانوا نصارى ام وثنيين •

فقد روى البيرونى فى الآثار الباقية ان صوم العذارى عند عرب العراق نشأ من انتصار العرب من العجم فى ذى قار فعذارى العراق صمنه شكرا لله حيث انتصرت العرب من العجم •

واقعة اليرموك ثم عاد الى العراق واشترك فى واقعة القادسية .

(ما اشبه الليلة بالبارحة) فقد كان جهاد الزعيمين قبل الحرب العامة جهاد ابطال وكان بفضل جهادهما ان صار ضباط الفرقة السابعة والثلاثين التى كانت فى بغداد شعلة من نيران العرب الحربية لهذا تدارك الاتراك أمرها وارسلوها الى القفقاس خشية مما تحدثه فيما لو بقيت فى العراق .

والحرب العامة اعجلتهما واعجلت غيرهما من اعطاء الدروس العامة لعرب العراق والحرب العامة أتت قبل اوانها والحرب العامة حالت بينهما وبين ما يقتضى للثورة القومية من ضرورة وجود (رأى عام) يساند دعاتها ويرجب دعامتها . فالواجب الوطنى يحتم على ابناء (٩) شعبان والواجب القومى يأمر ابناء (٩) شعبان ان يجتهدوا اجتهاد (المثنى) لتوحيد الفكرة العربية فى العراق . فقد كانت لنا سنة متبعة فى السياسة القومية فى العراق وقد اعطانا (عمر بن الخطاب) درسا بليغا فى الخدمات العامة وقد كان يمثل العروبة والفضيلة العربية وما هذه وتلك سوى (الصراحة) فى القول والعمل .

كان (عمر بن الخطاب) شديد الاهتمام فى القضايا العامة وكان يراقب عماله مراقبة من لا تخفى عليه خافية وكان له (مفتش عام) اسمه (محمد بن مسلمة) وهو صاحب العمال الذى يقتص آثار من شكى عليه فبينما الاعاجم كانت على استعدادها فى (نهاوند) اذ تألب اشخاص على سعد عند عمر فأرسل مفتشه اليه فقدم محمد على

سعد ليطوف به فى أهل الكوفة والبعوث نضرب على اهل الامصار الى (نهاوند) فطوف به على مساجد اهل الكوفة لا يتعرض للمسألة عنه فى السر ويذكر التأريخ : (ليست المسألة فى السر من شأنهم اذ ذاك) هذا هو الدرس الذى اعطانا اياه عمر فى السياسة القومية .

فالواجب القومى العربى يحتم علينا ان نكون لنا رأيا عاما عربيا فى العراق .

والواجب القومى العربى يأمرنا بان نجعل كل فرد من العرب فى العراق يشعر بالمسؤولية القومية .

والواجب القومى العربى يناشدنا الله ان لا نحيد عن السياسة التى وضعها (عمر) من اجل قومه العرب فى العراق .

والواجب القومى العربى يدعونا الى اتباع سياسة الصراحة فى سبيل المبدأ .

والواجب القومى العربى ينادينا منذ آلاف السنين ان نكون كما يرجوه اجدادنا اصحاب المدنيات السامية فى العراق .

والواجب القومى العربى يلقننا ان من امتلك العراق فكأنما امتلك كثيرا من البلدان .

والواجب القومى العربى يهتف فى اذن كل فرد عربى عراقى بكلمة كن عربيا قبل كل شيىء .

والواجب القومى العربى يفرض علينا تسجيل الدم العربى فى الجنسية قبل كل شيىء .

والواجب القومى العربى يقول لنا ان العراق عربى فيجب ان لا نسمح لغير العرب من التمتع بالتجنس واشراكه فى الملك الذى اوقفه (عمر بن الخطاب) على قومه العرب الى يوم القيامة .

والواجب القومى العربى يذكرنا بماضى العراق وتأثير البيئة فيه وفضل الجزيرة العربية عليه فقد كانت الجزيرة العربية المباركة تقذف بابنائها من فينة الى فينة الى العراق لتجديد الدم العربى فيه وتحريك ذلك الدم لكى يكون مستعدا للطوارىء وها هى الجزيرة قد قذفت بقبيلتى (شمر وعنزة) الى العراق لهذا السبب التأريخى فهل ابناء (٩) شعبان عازمون على السير على غرار سلفهم ويسكنون هاتين القبيلتين للاستفادة من يدهما العاملة ودمهما النقى الطاهر ؟



ناشئتنـــــا

تلاقى عربيان فقال احدهما للآخر : اساجلك العداوة ما بقينا •

فاجابه الثانى : ونورثها اذا متنا البنينا •

فكان الاعتنـاء بالاولاد من اهـم الاركان الحيوية للعائلات العربية فى الزمن الماضى •

ولم نأت بهذا المثل كشاهد لسبب اعتناء آبائنا فى الناشئة بل اتينا به كنموذج للحس فى (الكرامة الشخصية) فيما اذا اهينت ، تلك اللفظة النبيلة التى لم نر لها اثرا عند (شبابنا الحاضر) •

كما ان الاعتناء بالاولاد لم يكن عند اجدادنا خاصا فى طبقة الاغنياء فحسب بل كان شعورا عاما يشترك فيه الوضيع والشريف على السواء •

ويمكننا ان نقول : ان الصعاليك كثيرا ما يكونون اشد غيرة على كرامتهم ممن هم اعلى مقاما واسمى مركزا وارفع امتيازا الا ترى الصعلوك يستطيع ان يقول مع القائل :

همتى همـة الملوك ونفسى   نفس حر ترى المذلة كفرا

أتينا بهذا المثل لنذكر المسؤولين عن الناشئة العربية بضرورة ايجاد فكرة (الكرامة الشخصية) عندها لنقوم جميعا شـيبا وشـبانا بواجبنا القومى •

نشرت فى جريدة الاستقلال

ان من مبادىء الشعور بالكرامة الشخصية ان تكون (غريزة الغضب) نامية عند الناشئة لان من لا يغضب خليق بالاحتقار والازدراء والمهانة .

وان من اكبر النكبات التى حلت بعراقنا العربى تلك السياسة الاستعمارية التى الهتنا بالحدو عن ورود الماء .

فالناشئة تجهل ان لها مجدا ماضيا والناشئة تجهل ان لها عزا شامخا والناشئة تجهل ان لها من ماضيها ما هو كفيل لان يوطد لها المستقبل .

تشكل الحكم الوطنى فالهانا عن النظر فى انفسنا وتشكل الحكم الوطنى فصدنا عن معرفة التربة التى نعيش فيها وتشكل الحكم الوطنى فبدد مجارى الافكار القومية التى كانت تتأجج فى صدور ناشئتنا .

ماذا تفهم الناشئة عن المجد العربى ؟ وماذا تفهم الناشئة عن السؤدد السامى ؟ وماذا تعلم الناشئة عن مركز العراق الرفيع الماضى منه والحاضر ؟

رحماك ربى !

قد كانت فى العراق مدنيات بابلية وقد كانت فى العراق مدنيات آثورية وقد احدثنا نحن - معشر العرب - مدنية عظيمة فيه ربطت الماضى القديم جدا بالحاضر الذى نحن فيه .

فما الذى تعلمه الناشئة من ماضيها او من حاضرها حتى تقوم بالعمل من اجل المستقبل ؟

غفرانك ربى !

تشكل الحكم الوطنى فكتبت عنا عشرات الكتب فى مختلف اللغات فما الذى تعلمته الناشئة من حالها ؟

تشكل الحكم الوطنى فانبث موظفونا فى كل شبر فى العراق فما الذى عملناه من اجل جغرافية العراق زمن الفتح العربى حتى نربط الحاضر بالماضى القريب ؟

يأتى العراق فى كل عام عدة بعثات علمية لدرس المدنيات التى كانت فيه وكتبت عن تلك المدنيات عدة كتب فى مختلف اللغات فما الذى تعلمته الناشئة عن ماضيها القديم .

فاذا كانت ناشئتنا تجهل كل ذلك فكيف نرجو الحياة ؟

الامم كالافراد فكما ان من حق الفرد ان يتمتع بحياة سعيدة فكذلك الامم ولكن الحق لن ينال ما لم يسبقه القيام بالواجب للحصول على ذلك الحق والتمتع بنعيمه الوافر .

كانت لنا روح قومية قبل الحرب العامة واشتركت هذه الروح الشريفة بالحرب العامة من اجل الاستقلال ثم جرى ما جرى وظهر لنا كيان قومى وقد كتبت عنا عشرات الكتب اليس من الواجب على المسؤولين عن الناشئة ان يؤلفوا لجنة لترجمة الكتب هذه ؟

قد كان لنا ماض عربى بحت وقد قام بتأسيس ذلك الماضى وقد قام ببناء ذلك المجد افذاذ من العرب الاقحاح فهل سعينا الى تأليف كتب صغار تبحث فى الابطال الذين قاموا بواجبهم القومى وتكون تلك الكتب فى متناول كل فرد ككتاب (خالد بن الوليد) الذى ظهر حديثا ؟

قد قام جبابرتنا باعمالهم الحربية الباهرة فى العراق زمن الفتح ولقد تبدلت اسماء المدن التى كانت ساحات للحرب فيه واصبحت تلولا فهل سعت الحكومة الوطنية بوساطة موظفيها لان تعمل خريطة عربية للعراق وقت الفتح ؟

والاكثر من هذا وتلك وهذه انه لا يوجد عند ناشئتنا فى المدارس كتاب يبحث فى تأريخ حياة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرته ! .

فقد قطع الحبل بيننا وبين ماضينا قبل الحرب العامة وقد ابعدت الشقة بيننا وبين ماضينا العربى المجيد وقد احدث بركان هائل بيننا وبين المدنيات السامية فى العراق .

الله الله فى الكرامة القومية !

لا يوجد لدى الناشئة شىء من (الشجاعة الادبية) التى تستطيع بها جبه الضغط الاجتماعى المملوء بالفوضى السياسية والاجتماعية والاخلاقية والادبية .

ولا يوجد عند الناشئة شيء من (الثقة بالنفس) والاعتزاز بالقومية حتى تنبذ كل ما هو غريب عنا وعن آدابنا واخلاقنا .

ولا يوجد عند الناشئة شيء من (الاعتماد على النفس) حتى تقاوم الفساد الذى تغلغل فى حياة العرب الاجتماعية .

ولا يوجد عند الناشئة شيء من (العزم) على دعوة قومنا العرب الى التخلق بالفضائل العربية من كرم ومروءة ونجدة وعزة وشجاعة وجرأة فى الحق .

ولا يوجد بين الناشئة من يجهر بوجوب اعلاء عظمتنا التاريخية وان يربى ما فى طبيعة العربى من الاستعداد القومى للتفوق على الغير .

ولا يوجد عند الناشئة شيء من تعصب العرب المعهود للعقيدة بالفضيلة العربية المقدسة .

الله اكبر !

لقد ضيعنا كل شيء لولا التأسى بابناء (٩) شعبان وما بذلوه من المهج والارواح الكريمة فى سبيل قوميتهم العربية .

وها انا ندعو المسؤولين عن الناشئة الى ان يعززوا جهد المستطاع ما فى النفوس العربية من شمم واباء وانفة وعز وشمخرة لكى تقوم الناشئة بواجبها القومى الذى فرضه عليها (عمر بن الخطاب) فى سبيل قومه العرب فى العراق .

مندوبنـــا

لسنا فى صـدد البحث فى الاسباب والدواعى التـى أدت الى وجود (عصبة الامم) كما انا لا نخوض فى ذكر تطور الاوضاع السياسية الدولية وما مر عليها من الادوار حتى وصلت الى خلق « عصبة الامم » .

لا نخوض فى هكذا مواضيع ولا نتطرق الى هكذا مباحث لاننا ننظر الى العصبة من وجهة قوميتنا العربية فحسب .

هذه العصبة وما فيها من الرموز السياسية البارزة فى شخص ممثلى الدول تذكرنا باياهنا فى الجاهلية وتعيد لنا ذكريات الاصنام العديدة التى كانت فى الكعبة الشريفة .

فقد كان فى الكعبة الشريفة ثلثمائة وستون صنما وكان لكل قبيلة من القبائل صنمها الخاص وربما تشترك بعض القبائل فى صنم او تشترك القبيلة الواحدة فى عدة اصنام وكان لقريش نصيبها من الاصنام ايضا فلما قام النبى صلى الله عليـه وسلم وهو من قريش ايضا وظهر الاسلام اعتلى دين الحنيفة وكسرت الاصنام كلها .

تذكرنا العصبـة وما حوت من الرموز السياسـية البارزة فى شخص ممثلى الدول فيها بما قاله القرآن الكريم فى تلك الاصنام « وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » .

نشرت فى جريدة الاستقلال

فبدخولنا عصبة الامم كأنا وضعنا للامة العربية رمزا سياسيا لها وكانا اظهرنا لها كيانا قوميا بين سائر الاقوام العالمية .

لا نريد ان نتكهن بمصير العصبة الامية كما صار على اصنام العرب قبل الاسلام بل نساير الوضع الامي الحاضر وننظر الى «مندوبنا العراقي» كرمز للآمال العربية وما في ذلك الامل من الايمان القوى الراسخ وما يتبع ذلك من العمل الجدى فى سبيل تحقيق الغاية الشريفة التى جاهد لاجلها ابناء (٩) شعبان .

حكمت الاوضاع السياسية العالمية حكما جائرا على العرب . ونطقت القوى السياسية العالمية بقرار فى مصير الشعب العربى لا نظير له فى الوقت الحاضر والشعب العربى شعب طموح والامة العربية امة نبيلة والمجد العربى الذى يرفرف فوق الربوع العربية يدفع الامة العربية سرا وجهارا الى الامام الى الامام .

سار العربى العراقى بطريقه المحفوف بالمخاطر وتقدم الى الغاية التى ينشدها من الاستقلال وهو يأبى ان يبدل سيدا بسيد فكتب له الحظ ان يسبق باقى الاقطار العربية التى جزئت ظلما الى تبوء مقامه الامى فى «العصبة» .

أخذ مندوبنا فى بدء الامر يمثل البقعة العراقية حسب الوضع السياسى تمثيلا غير مطابق للحقيقة لان البقعة التى خطت باسم «العراق» لا تشمل الارض العربية العراقية كلها .

ظل « رمزنا السياسى » فى العصبة يجيب عن الاسئلة التى توجه اليه من قبل ممثلى الامم ذات الشأن فى السياسة العالمية فكانه شخص فوض اليه عمل معين فيحضر امام المفوضين شارحا لهم القيام بمهمته بامانة حسب امرهم وارادتهم .

ولكن الآمال التى تجيش فى الصدور والايمان الذى يغلى فى القلوب جعلت (مندوب العراق) يخترق الحجب الواهية التى وضعها الضغط السياسى وضعا غير طبيعى ورمت به الى ان يكون رمزا سياسيا للامة العربية المغلوبة على امرها والتى نكبت من اقرب حليف لها وقت الشدائد ......

وقف جعفر باشا العسكرى فى ٢١ ايلول من سنة ١٩٣٤ وقفته المشرفة فى العصبة قائلا بعد كلام له : انه يأمل من صميم قلبه ان الممالك التى تحت الانتداب من صنف (١) كسورية وفلسطين ستتمكن من الحصول على نفس النتيجة بسرعة - يقصد الوضعية العراقية - ان سورية وفلسطين تتمتعان بنفس الامتيازات والحقوق التى للعراق وبالاخص سورية فانه يمكن اعتبارها بلدا شبيها بالبلدان الاوربية فيها عنصر من اصحاب المهن ذو كفاية فائقة وثقافة عالية وحتى الفلاحون منهم فانهم على شيىء من التهذيب يحق لهم ان يفتخروا به . ان سورية وفلسطين انجبت عظماء كثيرين .

فبوقفته هذه جاشت نفسه بالمطامع القومية .

وبوقفته هذه نفث ما فى صدره من الآمال العربية .

وبوقفته هذه برهن للامم ذات المطامع فى البلاد العربية بما يحمله قلب العربى من (الوحدة العربيـة) المنشودة وما يؤمن به من الاستقلال .

تغير موقف (مندوبنا) عن ذى قبل ، فوقف فى ٢٧ ايلول من سنة ١٩٣٤ كالمفتخر بماضيه والمعتز بمجده وقال : ان الدين الذى بنيت عليه نظم اوروبة الاجتماعية والادبية قد جاء اليهم من اسية ـ ولو قال من جزيرة العـرب لكان اوقع ـ وعندما انتشر ظلام القرون الوسطى على اوروبة كنا نحن العرب بصورة خاصة الذين اخذنا فى عهدتنا شعلة المعرفة الخافتة التى اوقدها اليونان والرومان اولا فنفخنا فيها فاصبحت شعلة منيرة مرة ثانية واسلمناها اليهم ـ يعنى الغربيين ـ لتحترق حامية وضاءة اكثر من ذى قبل .

ابرز (مندوبنا) فى العصبة فى احـد مواقفـه (الشعور القـومى للامة العربية) وفى الثانى (الاعتزاز بالمجد القديم) وهما أس النجاح للامم التى تطلب الشرف والكرامة وبذلك برهن ابنـاء (٩) شعبان انهم لا يتركون ما عاهـدوا الله عليه من طلب الاستقلال للامـة العربيـة .

ولم يكن الشعور الـذى بدا من مندوبنا فى العصبة خاصـا به كممثل للعراق فيها بل هو شعور عام عند كل من يعتنق المبدأ القديم

فقد قال (ياسين باشا الهاشمى) لممثل جريدة (القبس الدمشقية) : ان الفكرة العربية ما تزال فى قوتها ومضائها كما كانت عليه فى عهد المرحوم جلالة الملك فيصل والفكرة غير مرتبطة بالاشخاص كما تعلمون وقد دخل جلالة الملك فيصل فى القضية ليعمل لها .

ثم قال : عندما تكون قضية سورية معروضة للبحث فى الجمعية لكل عضو الحق فى المناقشة بها والعراق اوثق الدول روابط بسورية واحرص الدول على الدفاع عن سورية ومتى عرضت القضية لاشك ان موقف مندوب العراق لا يكون سلبيا .

فهذا الشعور بالوحدة العربية وبالتضامن القومى الذى بدا من رجالات العراق البارزين سواء أكان فى العصبة او فى خارجها لمن الدوافع الاكيدة لظهور رمزنا السياسى بمظهر القوى على مسرح السياسة العالمية .

فان كان (رمزنا السياسى) قد خطا خطوته هذه وعدت من الناس امرا جللا فهى والحقيقة خطوة ضعيفة امام التاريخ .

فمندوب العراق الاممى لا يمثل الوضع الراهن فحسب ، ومندوب العراق الاممى لا يستطيع التملص من الواجب القومى الحقيقى ، ومندوب العراق الاممى يحمل من التبعات مالا يحمله ممثل امة من الامم الحاضرة فهو يحمل تبعة العرب اينما كانوا وهو يحمل تبعة التربة العربية فى اى جهة كانت وهو يحمل تبعة المبادىء

التى وصعها (عمر بن الخطاب) فى سبيل قومه العـرب وهو يحمل تبعة (الفضيلة العربية الاسلامية) وهو يحمل تبعة العرب الذين كانوا فـى (ارض مـزن) او (ارض مـازن بن الازد) زمـن الاسـكندر ـ الاهواز ـ وهو يحمل تبعة العرب الذين تحاوروا مع (ايوب عليه السـلام) والذين يقال لهم (سوحـى) والذين لا تزال بقاياهم فى (عانة) واطرافها ويقال لهم الان (سواحيق) الذين وصفهم (ايوب عليه السلام) بذلك الوصف العالى .

وهو يحمل تبعة العربى الذى علم (موسى عليه السلام) طريقـة الحكم والادارة وهو يحمل تبعة (ابناء) قدمة او (قدموس) الذين لهم الاثر الجليل (فى اسبارطة واثينة) والذين يعرفون فى التاريخ باسم (الفينيقيين) والذين ظهر منهم (هانيبال) وهو يحمل تبعة (حمورابى) وسياسته الرشيدة فـى العراق العربـى وهو يحمل تبعـة (سرجون الاكدى) ونخوته وشهامتـه حينما اجاب صراخ (واسرجوناه) من آسية الصغرى !

فهو فى تبعاته هذه واجابته للتلبيات الحديثة والقديمة منها كمـا يقول شاعرنا عبد يغوث بن الحرث بن وقاص الحارثى :

كأنى لم اركب جوادا ولم اقل　　لخيلى كرى نفسى عن رجاليا



اخلاقنا

للبيئة اثرها القوى فى تكوين خلق الفرد وقد كنا معشر العرب قبل الفتوح الاسلامية ابناء بيئة واحدة وكانت اخلاقنا وطبايعنا وامزجتنا وميولنا واحدة وبعبارة اصرح كانت مشاعرنا واتجاهاتنا وشجاعتنا واقدامنا وما يتبع ذلك من العزم والمضآء والانقياد والطاعة واحدة فى محيط الجزيرة القاسى ووسطها الجاف .

فلما توسعت الفتوح وانتشر العرب فى البلدان المجاورة للجزيرة واختلط العرب الفاتحون بعناصر الامم المغلوبة على امرها الموتورة فى حياتها تعددت لدينا البيئات ودخلت فينا عناصر لا تلائم ما فى طبايعنا الموروثة فحدثت شقة بين العرب وحصل اختلاف فى الامزجة .

فاخلاق العرب الذين بقوا فى العراق تغيرت عن اخلاق اخوانهم الذين قطنوا بسورية . فبينما تجد الثانى وادعا طائعا لاميره نرى الاول سريع الانفعال قليل الثبات ينقض فى مسائه ما صنعه فى صباحه ويغير فى ليله ما عمله فى نهاره .

وترينا الايام الماضية من الحوادث والعبر التأريخية التى حدثت فى العراق العربى ما لا يمكن التغاضى عنها او تناسيها .

وترينا الحوادث التى سلفت فى عراقنا العربى ما هو جدير

بشباب (٩) شعبان ان يدرسوا الوسط الذى هـم فيه كى يعرفوا مصيره بالنسبة الى ماضيه المتعب ٠

فقد حدث اول اضطراب عربى بالكوفة زمن (عمر بن الخطاب) الذى بناها لقومه العرب فى العراق ٠

وقـد ظلت الاضطرابات تترى فى العراق حتى صارت الفتنة وانضم اهل العراق الى (الامام على بن ابى طالب) رضى الله عنـه ولكن الحوادث ترينـا ان (اول جمعية هدامة) تشكلت فيـه وكان (الامـام على بن ابى طالب) من ضحاياها ٠ بينما الشـعب العربى السورى الذى تشيع (لمعاوية) لم يسلم اليه الزعامة كاملة فقد بقى أميرا فحسب وكان (على) عليه السلام يدعى بالعراق (امير المؤمنين) ولم يسلم على (معاوية) بامارة المؤمنين الا بعد ان حدثت المؤامرة العراقية الثانية ورضى (الحسن) بان يسلم الامر اليه ٠

ثم اعقبتها حادثة اخرى ترينا مدى الخـلاف بين البيئتين ومدى الخلاف بين اخلاق الاخوين السورى والعراقى ٠

لما قامت (الدولة العباسية) بعث (المنصور) ابن مغيث اليحصبى عامل افريقية لغزو الاندلس ولكن (عبدالرحمن) مزق جيش الخليفة العباسى وقتل عامله وبقيت الدولة الاندلسية امارة ولـم تجرؤ على الادعاء بالخلافة حتى زمن (الناصر) ففى سنة ٣١٧ للهجرة لما بلغه ان مونس الخادم قتل الخليفة المقتدر بالله العباسى لم يدع هذه الفرصة

تفلت من يده فاعلن خلافته فى الاندلس بمنشور ارسله الى جميع الجهات .

لا نريد ان تمر الحوادث امامنا مرا سريعا دون ان ندرسها ولو قليلا فان فيها من العبر الغالية التى يجب علينا معشر العرب جميعا ان نتدبرها وان نتجنب مضارها وان نتبع ما هو مفيد لنا ولقومنا ولشرفنا الامى .

كان(الامويون) يرسلون عمالهم الى العراق وكان احدهم(خالد القسرى) وكان من (بجيلة) وكان كثيرا ما يقول : اننى والله مظلوم ما تحت قدمى من شىء الا وهو لى ويعنى بذلك ان عمر جعل لبجيلة ربع السواد مع ان العراق ازدهر بزمانه فقد حفر نهر خالد وباجوى وبارمانا والمبارك والجامع وكورة سابور والصلح واصبح (خالد) مثريا وكانت قبيلته اليمانية قوية جدا ومع ان قبيلته كانت ناقمة على (الوليد) فيمن نقم عليه وكانت من الثائرين ايضا وكان نفسه من المنكوبين من قبل (الوليد) فانه لما دعى الى الاشتراك معهم أبى . ولما اراد الوليد الحج خاف خالد عليه من الفتك به فى الطريق فاتاه وقال له يا أمير المؤمنين اخر الحج العام فلما كتم الاسباب امر بحبسه وان يستادى ما عليه من اموال العراق . ظل (خالد) على ولائه لاميره (٧) ولما حضرت (الصائفة) خرج فيها

(٧) لم يدرك الاول الشرف الا بالفعل ولا يدركه الآخر الا بما ادرك به الاول. (عبدالله القسرى رواية ابنه خالد) .

كجندى ومعه ابناه يزيد وهشام وفى غيابه تشكلت جمعية فى دمشق تحت رئاسة رجل عراقى ديدنها حرق البيوت فالغارة فالسرقة واتهم ابناؤه ورجاله بذلك فبرأهم الله مما رموا به .وظلوا مثابرين على الولاء والطاعة ...

اتينا بهذه الحوادث لنعطى صورة من صور الولاء والطاعة . وقصصنا عليك ايها العربى هذه القصة لتعلم الفرق بين البيئتين وما احدثته البيئتان من الفرق بين اخلاق الاخوين العربيين . بيد ان الطيش الموجود عند عرب العراق قد يكون مفيدا اذا استعملت الوسائط لاصلاحه والاستفادة منه ...

جبل العربى العراقى على الافراط حتى فى الطاعة لاولياء الامور يروى لنا التأريخ انه لما اراد الوليد إن يبنى مسجد دمشق قال لاصحابه : اقسمت عليكم لما أتانى كل رجل منكم بلبنة فجعل كل رجل يأتيه بلبنة ورجل من اهل العراق يأتيه بلبنتين فقال له ممن انت ؟ قال : من اهل العراق فقال حينئذ : يا اهل العراق تفرطون فى كل شىء حتى فى الطاعة ! ...

ترينا هذه الحادثة بوضوح اختلاف السجيتين عند الاخوين وترينا هذه الحادثة بوضوح اثر البيئتين وتعيد لنا الحوادث المتأخرة ذكريات الماضى البعيد .

بذل العراقيون جهد المستطاع لنجاح ثورة (٩) شعبان وكانوا

فى كل الادوار قطب الرحى للقضية العربية وتقدم العراق على ما سواه من الشقيقات العربية وفاز العراق بتقدمه السياسى الباهر وبعد هذا وذاك اصبحنا نخشى الاصطدام بالنزعات الرجعية اذا لم نحسن العمل ونخاف ان تعاد ادوار الخوارج التى اهلكت قريشا فى بدء الامر حتى قال قائلهم العربى العراقى :

الم تر ان الله اظهر دينه   فصلت قريش خلف بكر بن وائل

وبالتالى تموت الروح العربية تلك التى تتجسم فيها الفضيلة والانفة والشمم والآباء والفخر والسؤدد . وتلك التى بفضل اعتزاز العرب بها سادوا الامم وبفضل تقديسهم اياها ذعنت لهم الايام ولما ماتت تلك الروح العربية بافعال الخوارج وانطفأ ذلك اللهيب النورانى وطمست معالم النزعة العربية رأينا (دعبل الخزاعى العربى العراقى) يقول :

ايسومنى المأمون خطة جاهل   او ما رأى بالامس رأس محمد

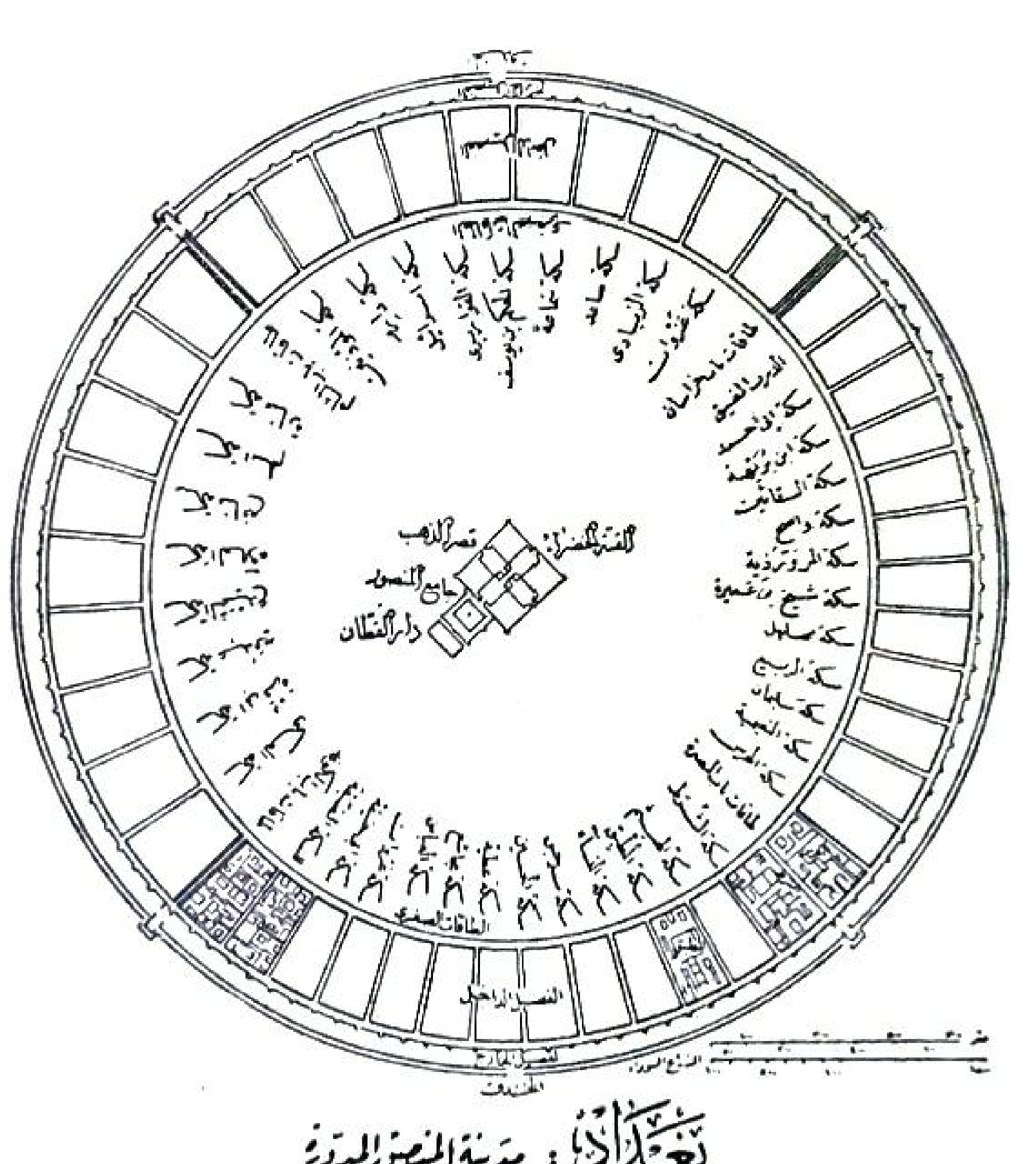
انى من القوم الذين سيوفهم   قتلت اخاك وشرفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله   واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فهذه الابيات لعمر الله من اثقل الابيات سماعا على اذن العربى .

وهذه الابيات لعمر الله من اسفه الخطابات التى القيت فى وقتها .

وهـذه الابيات تعد مثالا لانحطاط الخلق العربى فى العراق حيث يفخر بمولاه (طاهر بن الحسين) الذى ثار انتقاما لقومه الفرس على (الهاشمى ابن الهاشمى محمـد بن الرشيد) وهـذا منتهى ما يكون من الارتداد العربى العراقى ٠



بغداد : مدينة المنصور المدورة
(هرتسفلد)

دارنا

الى يسار الداخل فى بغداد من طريق (الانبار ـ الفلوجة) وهى الطريق الذى اجتازه (فتى العراق) الى (سوق بغداد) لما اتاها غازيا تحت قيادة (خالد بن الوليد) وزعامة (أبى بكر) توجد (تلول) عربية اسلامية ويرينا التأريخ ان جيش (المثنى بن حارثة الشيبانى) لما اتى (سوق بغداد) لم يوجد ثمة تل كبير يستجلب الانظار سوى (عقرقوف) او (المنظرة) حسب القول الوارد فى الشعر حينئـذ . ويرينا التأريخ ان (بغداد) الحاضرة و (مركز الحضارة العالمية) فيما مضى كانت اوسع بكثير من وضعها الحالى (١) وان سعتها كانت فى الشمال الغربى وان (الكاظمية) كانت (مقبرة قريش) وهكذا كان اسمها وبعبارة افصح كان اسمها (مقابر قريش) (٨) وكانت فى الجانب الغربى منها عدة قطائع كما ان بغداد نفسها أسست فى الجانب الغربى . فالجانب الغربى ممتاز فى ماضيه والجانب الغربى ممتاز فى حاضره والجانب الغربى حلقة الاتصال بين المدنية القديمة جدا وبين المدنية الحديثة سواء أعلم شباب العرب ام لم يعلم وسواء أادركت الشبيبة ام لم تدرك فللجانب الغربى موقعه السامى قبل

نشرت فى جريدة الاستقلال

(١) انظر الملحق فى آخر الكتاب .

(٨) اول من دفن بمقابر قريش جعفر الاكبر بن عبدالله المنصور الذى كان يتولى امارة الموصل ومات فى حياة أبيه سنة خمسين ومائة الخطيب ج ٧ ص ١٥٠ .

الاسلام وقبل الثورة العربية وبعدها .

فالجانب الغربي منها كان مأهولا بالعرب قبل الاسلام حتى الموصل وحتى جزيرة ابن عمر وحتى الرها نفسها .

وكان الجانب الغربي منها اول تربة وطئتها اقدام فتانا ورئيس عصبتنا والجانب الغربي منها قد حفظ اثرا من آثار المدنية العربية الاسلامية (٩) وقد حفظ الجانب الغربي لنا اثرا ساميا لم يعلمه سوى العربي الفلاح ففي (بزايز مزرعة صاحب الجلالة) وفي (بزايز مزرعة شخص من اهل بغداد) توجد ارض يتصرف بها (ابن البكري) يطلق عليها (العميرية ودار الجز) وهذه الدار التي هي حلقة الاتصال بين القديم والحديث والتي لم يعرفها الشاب العربي المتعلم والتي ربما مقتها او لعنها ابن العراق العربي البار (الفلاح) - لانها تأخذ مكانا غير قليل من مزرعته - كانت في قديم الزمان ذات اهمية كبرى لنشر

---

(٩) يرى الخطيب البغدادي ان مدينة المنصور كانت من افنية كلواذي وانها كانت مزرعة للبغداديين يقال لها (المباركة) وكانت لستين نفسا من البغداديين فعوضهم المنصور عنها عوضا ارضاهم .

وقد سكن العرب رصافتها منذ الفتح العمري فقطيعة المخرم تنسب الى مخرم بن شريح بن مخرم بن زياد ... وكانت له اقطعها ايام نزلت العرب في عهد عمر بن الخطاب وممن نزل الجانب الغربي منها سعد بن زيد بن وديعة الانصاري الخزرجي احد بني الحبلي قدم العراق في خلافة عمر بن الخطاب ونزل (عقرقوف) فصار ولده بها يقال لهم بنو عبدالواحد بن بشير .

ويرى ايضا ان (اسماعيل بن سالم الاسدي) وكان من اهل الكوفة نزل بغداد قبل تمصيرها .

ويقول ايضا انه كانت ببغداد لهشام بن عبدالملك وغيره من الخلفاء خمسمائة فارس يغيرون على الخوارج اذا خرجوا في ناحيتهم قبل ان يضعف امرهم .

الثقافة العلمية بين البشر ولا تزال الآن ذات قيمة كبيرة فى الوقت الحاضر لانها تعلمنا تطور (صناعة الورق) وكيفية ترقى تلك الصنعة حتى وصلت فى وقتنا هذا الى درجة الكمال .

هذه الدار كانت محلة كبيرة ببغداد فى سنة ٦١٧ وسنة ٦١٨ للهجرة قبيل هجوم التتار على بغداد وتخريبها وكانت هذه المحلة فى طرف الصحراء وكان بينها وبين البلد فى ذلك اليوم نحو فرسخ وكان ما حولها من العمران قد خرب فى ذلك الوقت ولم يبق الا اربع محال متصلة (دار القز (١) والعتابيين والنصرية وشارسوك) والباقى تلول قائمة وكان يعمل فيها فى ذلك الوقت (الكاغد) وكانت محلة شهيرة والنسبة اليها (الدار قزى) هكذا حفظ لنا (ياقوت) فى معجمه وهكذا حفظ لنا الفلاح العربى اسمها حسبما يتلفظه (دار الجز) .

يرينا التأريخ عظمة هذا المكان ويرينا التأريخ شيئا من سمو العرب وادراكهم ويرينا التأريخ كيفية سعى العرب لاخذ الثقافة الاغريقية ويرينا التأريخ الوسائط التى حفظ العرب فيها هذه الثقافة والعلوم ويرينا التأريخ كيفية تأدية العرب هذه الامانة لاوربة الحاضرة وبعد هذا وذاك فان المحل الذى يجب على كل عربى ان يفتخر به يبقى مجهولا عند ابناء (٩) شعبان ويبقى فى عالم الغيب عند من يريد وصل الحاضر بالماضى وعند من يريد احياء مجد

---

(١) انظر خارطة هرسفيلد فى آخر الكتاب .

العرب القديم ويبقى فى حافظة العربى الامى فقط .

رحماك ربى !

يرينا التأريخ صدق اجدادنا العرب فيما قالوا ويرينا التأريخ عظمة اجدادنا العرب فيما فعلوا ويرينا التأريخ اصابة اجدادنا العرب فيما فكروا وبعد هذا وذاك فان الاحوال تبرهن لنا ان ابن العراق البار هو الفلاح العربى الذى حفظ لنا هذا الاسم وبذلك استطعنا ان نعرف مكان اكبر اثر اسلامى للامة العربية .

عملت فى العهد الحاضر خريطة (لواء بغـداد) ونقش اسـم (دار الجز) فيها وقد كتبها كاتبها وهو لا يدرى ما قيمة هذه الدار وقد وزعت بين المزارعين وهم لا يعلمون قيمة هذه الدار وقد بقيت على هذه الحال والشاب العربى المتعلم يجهل ذلك ولكن ابن العراق البار (الفلاح) يذكر ذلك الاسم وهو يجهل قيمة هذا الاثر التأريخى .

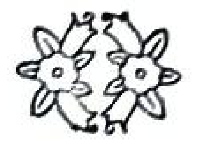
غفرانك ربى !

ما الذى استفاده الشاب العربى من موظفى الحكومة المنبثين فى كل بقعة من بقاع العراق وهم يجهلون التربة التى يحكمونها ؟

بل ما الذى استفاده العالم من الحكم الوطنى العربى فى العراق ولم يظهر له اى اثر من آثار المدنية الحديثة منها والقديمة بل ما الذى استفاده العلم من مؤسساتنا الوطنية بينما الاجانب يرسلون البعثة تلو البعثة لدرس آثار اسلافنا ؟

قد كان لنا ماض مجيد يحق لنا ان نفتخر به وقد كان لنا عز منيع يجدر بنا ان نعتز به وقد كان لنا اثر حميد بامكاننا ان نباهى به وقد كانت لنا ايد بيضاء على المدنية الحاضرة وبامكاننا ان نرفع رأسنا عاليا بواسطة (كشف دار الجز) ونشر ما وصلت اليه ايدى اجدادنا من الاعمال المجيدة وما وصلت اليه (صناعة الورق) فى دارنا وفى سنة ٦١٧ وسنة ٦١٨ للهجرة .

من حقنا ان نفخر بهذه الدار ومن حقنا ان نباهى بهذه الدار ومن حقنا ان نعلن للعالم الغربى كيفية حفظ العرب لما وصل اليه (الدماغ الاغريقى) ولما اتقنه (الدماغ العربى) فى مختلف العلوم والصنايع ولما اصلحه العرب من الآراء الاغريقية وبعد هذا وذاك من حقنا ان نربط صناعة الورق القديمة بصناعة الورق الحديثة بوساطة هذه الدار التى ينطقها ابن العراق البار بكلمة (دار الجز).



برنا

اذا كان فى الكون حقيقة ثابتة واذا كان فى الكون دستور الهى لن يتغير واذا كان فى الكون مسألة اوضحها !التاريخ وضوحا جليا حتى اصبحت فى حكم البديهيات هى : (ان لا سلم فى العالم حتى يستقل العرب) • فقد خلق الله العرب فى بقعة كانت ولا تزال (الطريق السلطانى) للتجارة البرية العالمية •

وقد خلق الله العرب فى بقعة كانت ولا تزال مطمح انظار الامم القوية لاجل هذا (الطريق السلطانى) •

وقد خلق الله العرب فى بقعة كانوا ولا يزالون فيها اسيادا الى يوم الناس •

كانت التجارة العالمية فى الايام الغابرة تمر بالهند فسواحل الجزيرة العربية الشرقية والجنوبية فطرقها المختلفة ثم تمر بحصن (تيماء) او غير ذلك من الحصون فتذهب الى مصر او البحر الابيض ومنه الى اوربة وكان العرب فى كل الادوار اغنياء مغبوطين من قبل الامم ذات المطامح الواسعة •

ظلوا على هذا الوضع مئات السنين زمن (بابل) وبقوا مئات السنين زمن عظمة (آثور) ولم يدر فى خلد احد من ملوك الدولتين المتقدمى الذكر ان ينازع العرب هذه السيادة سوى (آشور بانيبال)

نشرت فى جريدة الاستقلال •

فقد حاول الملك الاثورى هـذا ان ينازع العرب سيادتهم على الطريق السلطانى فى القرن السابع قبل الميـلاد فارسل حملتين احداهما الى خليج البصرة والثانية الى خليج العقبـة . ولم تكن الحملتان هاتان بضارتين للسيادة العربية على هذا الطريق السلطانى فقد بقى الوضع كما كان وقد ظلت البقعة محترمة ومقدسة وقد بقى العربى سيد التجارة العالمية وبحكم هـذا الوضع بقى سيدا فى تربته ومقامـه وكرامته .

وللجزيرة العربيـة المباركة قانونها الطبيعى الـذى لن يتغير وذلك قذفها الموجات السامية من فينة الى فينة .

فقد سبقت الموجة العربيـة التى تزعمها (عمر بن الخطـاب) الى العراق موجة سامية كبرى لهـا اثرها المعهود وتلك الموجة كانت موجة (الارميين) .

ففى سنة ١٦٠٠ قبل الميـلاد انساح الارميون انسياحهم العـام واخذوا يبنون لهم المراكز التجارية فى وسط الجزيرة وفى الفرات ودجلة واخذوا فى التوسع رويدا رويدا حتى اجتازوا شـرقى دجلة فى سنة ١٣٧٠ قبل الميلاد واضحت مراكزهم ممتدة على طول جبال (الزار) او (زاغروس) . والشعب الارمى تاجر البر كاخيه الفينيقى الذى كان تاجر البحر ومن الطبيعى ان يكونوا من القـوة والمناعة والقـدرة على حماية تجارتهم البرية . ومن الطبيعى ان يكون لهم قانون التجـارة البرية كاخوانهـم الفينيقيين الذين كانوا فى طليعة

المؤسسين لقانون البحار وكانت (تيماء) احد حصونهم وكانت (تيماء) احد معاقلهم وكانت (تيماء) متنعمة برفاه المدنية ونعيمها وكانت (تيماء) حصنا تجاريا ارميا وظهر في العهد الاخير (حجر تيماء) الذي ينبيء بوجود مدنية ارمية في المدينة . وكان من اكبر المنافسين للسيادة العربية على الطريق السلطاني في الايام الماضية (بختنصر) الكلداني الذي حكم من سنة ٦٠٤ الى سنة ٥٦٢ قبل الميلاد . ففي زمن (بختنصر) كانت مراكز العرب التجارية في (دومة) و (نجد) و (مملكة جرهم ومملكة سبأ) وكانت التجارة تدر الخيرات لابناء الجزيرة العربية المباركة وكانت نشوة الظفر تلعب بمخيلة « بختنصر » الذي ما خرج من معركة ظافرا الا ودخل في ظفر آخر وقد دفعه الظفر المتتابع الى ان يكون سيد العالم بسيطرته على (الطريق السلطاني) الذي خلقه الله للعرب وللامة العربية .

وكانت السيادة في الجزيرة العربية حينئذ لليمانيين والحضارمة وكانت السيطرة بيدهم كما ان من عادة الجزيرة العربية ان تهييء جنودا اشداء في اوقات الشدائد ومن عادة الجزيرة العربية ان تكون لكل حادث ابطالا ولكل امر جليل شجعانا ولكل كارثة مخرجا الى السؤود العربي وهكذا جرى .

فقد اتبع (بختنصر) الكلداني طريق (آشور بانيبال) الاثوري وقد اوقع بعرب اليمن وقعة لا يزال اليمانيون يذكرونها فاعطت حينئذ الجزيرة العربية درسا له ولمن يشايعه في فكرته في (ذات عرق) حيث

وقف (عدنان) فيها وقفة الخطيب واستعاض سنانه بدل لسانه وساعده بدل فمه فاقنع خصمه بالهزيمة وانذر العالم الى يوم الناس بظهور (عدنان) و (ابناء عدنان) .

مات (بختنصر) ولم يظفر بطائل فذهب آخر ملوك « بابل » المسمى « نابونيدوس » الى الجزيرة واتخذ (تيماء) عاصمة له لما لها من الاهمية التجارية ولتسلطها على عدة طرق تجارية من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب وبموت (نابونيدوس) عادت المياه الى مجاريها وساد العربى بلاده فاعقب ذلك دور « الاسكندر المكدونى » الذى بلغت مطامحه الى اجتياز بلاد فارس ومنها الى الهند وبلغ من القوة والسطوة ان عمل اسطولا بحريا فى بلاد الشرق لم يشهد البحر نظيرا له سوى اسطول « محمد القاسم » عامل « الحجاج » . غضب « الاسكندر » على العرب لانهم لم يطيعوه ـ وكانت ولا تزال عادة فيهم ـ فاراد الايقاع بهم والتنكيل بطريقهم التجارى ولكن هذه الغضبة لم تتعد حدود المخيلة وظل الدستور الالهى القائل « يسود السلم اذا بقى العرب مستقلين » وظلت التجارة العالمية فى طريقها المعتاد وظل العرب طول هذه المدة يقومون بهذا

الواجب (١) .

قامت « دولة الرومان » فارادت التحرش بالعرب وارسلت حملة « اليوس كاليوس » الى اليمن وكابدت المشقة لاجل الدخول فى المدرسـة الالهية وبعد مضى عـدة اشهر رجع « اليوس » ومعه فل جيشه الى قومه الرومان قائلا لهم : ان الدستور الالهى فى مدرسته يقـول « الاسـتقلال والعرب شيئان لا ينفـكان » وان نار الحرب الرومانيـة لا تـستطيع اذابة هذين العنصرين اللذين امتزجا بقـوة سرمدية .

اخذت القبائل العدنانية بالظهور واخـذت تتقدم الى الشـمال وكانت التجـارة على عادتهـا بيد العرب وكانت دولتان تتنازعان السيادة العالمية بينهما .

كانت الجيوش تخترق شمال الجزيرة العربية وكان الفرات الحد الفاصل بين العرب وبين جيوش الدولتين المتنازعتين فـلا يستطيع جيش احـد الخصمين ان يمر على ضفة الفـرات اليمنى منه فكانت الجيوش تمر من الانبـار « الفلوجة » فجزيرة « ابن عمر » ولم يكن الطريق العام كما فى وقتنا هذا يمر بالرمادى بل من الجهـة الثانية

---

(١) حاول خليفة الاسكندر فى العراق (انطيوخوس الثالث) ان يغزو العـرب الذين كانوا اعظم تجار الارض فى (جرعاء مالك) باسطوله فى سنة ٢٠٦ ــ ٢٠٥ قبل الميلاد فلم يفلح لان زعماء العرب ارسلوا اليه كتابا نصه :

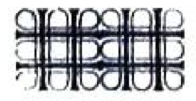
لا تهدم ايها الملك النعمتين اللتين انعمت الآلهة علينا بهما وهما (السـلم الدائم والحرية) : بيفان ج ٢ ص ٢٤ .

الى الفرات .

بقيت الجزيرة العربية المباركة آمنة من الاجانب وبقيت التجارة بعيدة عن القلاقل الحربية وبقى العرب الذين يتاجرون فيها بمراكزهم المهمة .

اتى دور عدنان واتى « ابناء عدنان » وظهر اشبال **عدنان فى** مزرح السياسة العالمية فكانت « موجة العرب » وكانت « غضبة عمر » فى سبيل قومه العرب فاخرس الجيشين المتنازعين واعاد كلا منهما الى داره قائلا : « ليكن نصيبكما الراحة » من هذا التنازع الذى **لا** يجديكما فتيلا وعادت « التجارة العالمية » كما كانت بيد العرب وعاد (السلم العالمى) الى الظهور حيث لا منازع للعرب فى سيادتهم العالمية .

هذه هى الحقيقة الثابتة فى الكون وهذا هو الدستور الالهى فى العالم وهذا منطوق الدستور القائل بصراحة ووضوح لا غموض فيه ولا ابهام : « ان لا سلم فى العالم حتى يستقل العرب » .



بحرنا

من القصص التى قصها علينـا (القرآن الكريم) لتكون للشباب العربى العراقى فى وقتنا هذا عبرة . ومن الحوادث التى حفظها لنا (القرآن الكريم) لتكون نبراسا لسعينا القومى قصة (نوح) عليه السلام وسفينته المباركة .

حفظت القصة فى القرآن الكريم وبقى اثرها عند العامة حيث يطلقون كلمة (الكودى) او (الجودى) كما ورد فى (القرآن الكريم على المحل الذى يبنى به السفن او تصلح فيه . كما انهم يطلقون كلمة (النوتية) على الملاحين تبركا باسم (نوح) عليه السـلام واقتفاء لاثره .

هذا جل ما عندنا من الماضى المجيد وهـذا كل مـا يملكه عرب العراق من ذلك المجد الزاهر وهذا كل ما نعلمه ونعمل به فى وقت جهادنا العربى القومى .

ولـو رمى (الشـاب العـربى العراقى) بعينه بعيـدا لظهر له من الحوادث الماضية والاعمال الغابرة ما يضمن له المستقبل الزاهر فى البحار ايضا .

لست فى صدد البحث فيما شيده ابناء عمنا (الفينيقيين) من المجد فى البحار ولكننى لا استطيع ان اكتم ابناء (٩) شعبان ولو همسا ان ابناء

نشرت فى جريدة الاستقلال .

عمنا الفينيقيين الذين رحلوا من جزيرة البحرين او (اوال) القديمة اسسوا لهم مراكز تجارية فى البحر الابيض وكانوا اسيادا فى البحر كما انهم سنوا (قانون البحار) وكانوا اول الواضعين لهذا القانون .

وهب انى اكتفيت بالهمس فى الآذان فهل فى الاستطاعة ان ننكر الحقائق التاريخية من ان الفينيقيين لم يكونوا تلامذة (نوح) عليه السلام ؟

اننا لو سألنا ايرلانديا وقلنا له ما اسم السفينة فى لغتكم لاجابنا « نوى » ...

واننا لو سألنا التاريخ لاجابنا « اسطرابو » وغيره بقوله : ان الفينيقيين اقتحموا بسفنهم « جزيرة بريطانية » فى عهد « موسى » عليه السلام وانهم يعرفونها باسم « جزر القصدير » وان « يوسبيوس » ينسب اكتشاف « جزر القصدير » الى « هرقل الفينيقى » وان « اسطرابو » يقول : ان الفينيقيين كانوا يبادلون الجزر البريطانية بما يحملونه اليها من الملح والادوات والمصنوعات الحديدية والنحاسية وانهم كانوا يأخذون منها الجلود والقصدير وغير ذلك .

لست بصدد نشر ماضينا المجيد وما قمنا به من المدنيات الزاهرة فقد اصبح العربى « غير حر » فى بره و « بعيدا » عن بحره .

« لو ان قومى انطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح اجرت »

وماذا يعنينا الآن من الذهاب بعيدا وبقربنا « خليج البصرة »

والبحر الهندى . فطبيعة الارض من جهة الخليج الغربية غيرها من الجهة الشرقية وعمق الخليج مائل الى جهة الفرس وكان لجهتنا الغربية من المقام التاريخى ما لم نجده فى الجهة الشرقية منه ولاهمية جهتنا التأريخية كتب عنها الكتاب الاقدمون الشىء الكثير وبعكسها الجهة الشرقية منه حيث بقوا صامتين واى برهان اكبر من استخدامنا الامم الغربية لتكتب لنا وفينا وعنا .

فالفينيقيون الذين مخروا البحار فى سفنهم كانوا منا وفى برنا وبحرنا وكان موطنهم الاصلى فى سواحل البحرين ومن الطبيعى ان يرث العرب تمخير السفن منهم فى الخليج وفى البحر الهندى .

فمغاص اللؤلؤ ملكنا واكبر ميناء فيه فى ارضنا وكانت « جرعاء مالك » فى مقامها المحمود من الوجهة التجارية .

يرينا التاريخ ان « سنحاريب الاثورى » عمل اسطولا فى القرن السابع قبل الميلاد للغارة على مستعمرات الكلدانيين الذين كانوا يقطنون بالجهة الشرقية من الخليج حيث كانت لهم مستعمرات هناك .

ويرينا التاريخ ان حملة بحرية عربية على السواحل الشرقية كانت فى القرن الرابع بعد الميلاد ولاول مرة أرانا اسطولا فارسيا يمخر الساحل الشرقى وذلك زمن « شابورذى الاكتاف » .

فقد كانت حملة « شابور » هذه للانتقام من « قبيلة اياد » التى ازعجت الفرس فكانت حملته هذه من البر والبحر وانتقمت من

العرب ايما انتقام ويقول لنا « ياقوت الحموى » فى اثره الشهير الذى كتبه فى سنة ٦٢٣ للهجرة عن مدينة (شالها) انها قديمة وكانت بأرض بابل خربتها « اياد » ثم يقول فى « الهفة » انها مدينة قديمة كانت فى طرف السواد بناها « سابور ذو الاكتاف » واسكنها « ايادا » لما قتل من قتل منهم فى مدينة « شالها » لما عصوا عليه ونقل منهم من بقى منهم الى هذه المدينة وجعلها محبسا لهم ونهى الرعية عن مخالطتهم وامر ان لا تدخل العرب داخل الحصن فمن دخل بغير اذنه قتل وكان كل من سخطت عليه ملوك فارس نفته الى « الهفة » واوسمها بالنفى واللعن وكان النبط يسمونه « هفاطرناى » ثم يذكر (ياقوت) ان اثار سورها بينة لم تدرس وتؤيد ذلك العامة فى وقتنا هذا حينما يريدون التبكيت والتنكيل بشخص فانهم يقولون له : (يا مال الهفة) !...

فظهور الاسطول الفارسى فى ذلك التاريخ لم يكن للتجارة العالمية كما كان اسطولنا بل كان لحملة واحدة فحسب ثم عادت المياه الى مجاريها ورجع العرب الى عادتهم القديمة من الاتجار فى فى البحار حيث كشفت لنا حملة القائد (نرخوس) زمن الاسكندر فى سنة ٣٢٦ ـ ٣٢٥ قبل الميلاد عن وجود مستعمرات عربية فى الهند ويؤكد قائدها انه رأى مراكب عربية فى سواحل « مكران » ويذكر المؤرخ « اغاذاريس » لاول مرة حقيقة تاريخية وهى وجود مستعمرات عربية فى السواحل الهندية فى القرن الثانى قبل الميلاد

كما ان « اوجيلى » فى كتابه « آسية » يذكر اسم « نهر عربى » فى مكران وحملة القائد « نرخوس » ايضا تقول بوجود حاكم لمدينة عربية يطلق عليه اسم « شيخ » فى تلك الارضين كما ان حاكم « مازن العربى اى حاكم (الاهواز) » استقبله بسفينته فى عرض الخليج .

كل هذه ترينا آثار سلفنا الصالح وكل هذه ترينا عظمة اجدادنا الماضين وكل هذه ترينا سيادتنا البرية والبحرية وكل هذه ترينا خدمات اجدادنا للمدنية الحاضرة وكل هذه ترينا ما كان عليه اجدادنا من الهمة القعساء وكل هذه ترينا ان البشرية مدينة لنا ولما اقتبسته منا وكل هذه ترينا ان اعمالنا لا تنسى وان كنا نحن معشر العرب قد نسيناها بما جنينا على انفسنا فالمدنية الحاضرة تعلن بعرض البحار ان « الموسم » او « المنسن » كما يتلفظه الاجانب كان من معرفتنا للبحار ومن كثرة تجاريبنا فى البحار ومن كثرة سفننا التى كانت فى البحار .

وان آخر شيىء اعطيناه للغربيين كانت (خرائط البحر) ففى سنة ١٥٠٨ بعد الميلاد تقدم البورتغال الى السواحل العربية بارشاد الخرائط التى اخذت من (الربان عمر) والتى استعملها (البوكرك) البورتغالى او (البرقوقى) الذى يعود الى اصل عربى ثم تنصر وبعد هذا وذاك اصبحت سفننا العربية واصبح ربابننا العربى يعد بفضل المدنية ورجالها لصا ويعد عمله قرصنة فعومل معاملة اللصوص واحرقت

سفنه الفينه بعد الفينة وذلك تقدير العزيز العليم .

رجالنـا

اذا قلنا رجالنا فاننـا لا نقصد العرب القاطنين بمختلف البقـاع السياسية .

واذا قلنـا رجالنا فاننا لا نريد ان نذكر عدد العرب الذين لا يزالون احياء بعددهم الوافر كى نفاخر بهم الامم .

واذا قلنا رجالنـا فاننا لا نقصد العـرب الذين يعدون فى عرف السياسة العالمية (الشعب المستعبد للامم) الشرقية منها والغربية .

واذا قلنا رجالنا فاننا لا نقصد ثياب الاحرار العربية التى نراها على الجسم العربى واذا قلنا رجالنا فاننا لا نعنى ذلك العربى البائس الذى اصبح فكره هشيما تذروه الرياح الشرقية وتحرقه النار الغربية وانما نقصد بكلمـة (رجالنا) هؤلاء الاشخاص الذين هـم عصارة الامـل البعيد والذين هم مفخرة العمل القريب ونعنى بهم (رجـال الثورة العربية المقدسة) .

قامت الثورة وسرعان ما اصطدمت بالسياسة الاستعمارية (سياسة تجزئة البلاد العربية) بين الدولتين الغربيتين (١) وكاد يقضى عليهـا بالركود الفجائى لولا (المخدر) الـذى قدمه (الكولونل باست) فى جده للمرحوم (الملك حسين) بمناسبة فضيحة (ساكس بيكو) .

نشرت فى جريدة الاستقلال .

(١) انظر خارطة تقسيم تركية فى آخر الكتاب .

وكان (المخدر) يقول : ان الحكومة البريطانيـة مصممة تصميما اكيدا على ان تقف بجانب الامة العربية فى جهادها لان تبنى عالما عربيـا .....) .

جازف رجالنـا فى سـبيل المبـدأ المقدس ونالوا مـا نالوا من الانتصارات فى المعترك الحربى ولكن (الا خطبوط السياسى) بعـد ان رفع رجلا لعرب الشمال كى يحرروا انفسهم من التـرك كان ممسكا بباقيه كافة البقعة العربية من الشرق والجنوب وهكذا برهن القوم على دستورهم السياسى : (لا تفلت سـاقا الا وانت ممسك ساقا آخر) .

بقى رجالنـا يجازفون بمـا لديهم من القوى فى سبيل المبـدأ القومى فى تلك الجهـات بينما السياسة الاستعمارية قد اسـست لهـا صلة ودية مع بعض المراكز فى العراق كما يقول (لودر) (١) غير مكترثة بالعهـود وغير مبالية بالوعود . وهكـذا اصبحت القضية العربيـة المقدسة تحت رحمة الاستعمار من حيث يدرى رجالنـا او لا يدرون .

ظلت الروح الدافعة بشبابنا لاقتحام المخاطر تعمل عملها وظلت النزعات السياسية تفعل فكـان اصطـدام وكانت ثورة فى العراق وكان لنا حكم وطنى معلوم .

عقدت الآمـال على الرجال الذين قاموا بحركتهم المباركة ان

---

(١) وكذا يقول هيوبرت ينك .

شاء الله وتحولت الابصار العربية الى الاشخاص الذين برهنوا فى معتركهم هذا على انهم عصارة الامل البعيد للامة العربية وهكذا اصبح العراق معقلا للسياسة العربية كما كان مركزا للسياسة العالمية .

فرجالنا الذين هم عصارة الامل البعيد ورجالنا الذين هم مفخرة العمل القريب ورجالنا الذين القيت على عاتقهم مسؤولية السياسة العربية القومية ورجالنا الذين انيطت بهم السياسة القومية ورجالنا الذين فيهم عقدت آمالنا النبيلة لا يزالون فى الحكم فى العراق ولا يزالون صلة الامل بين الوحدة العربية المنشودة وبين العرب الذين لا يزالون بعيدين عن العراق فى عرف السياسة الدولية .

فرجالنا الآن فى (الميزان القومى) . يقول (لا فاتر) : « ان الحكماء لا يرون فيما هم مقدمون عليه سوى ما دونه من صعاب . والمجازفون لا يرون فيه سوى ما وراءه من ربح وثمرات اما البطل فيرى ذلك كله ويقلل من الاولى ويرجح الاخيرة وبذلك ينتصر » .

ولو قسنا وضع العرب السياسى قبل الحرب العامة ووضعهم فى الوقت الحاضر لرأيناه من اشد الاوضاع السياسية العالمية فالعرب الآن فريسة بين الشعوب الشرقية والغربية والبلاد العربية اصبحت نهبا لمختلف الدول وعراقنا الآن الذى اصبح مركزا للسياسة العربية غير متمتع بحدوده الطبيعية وبعد هذا وذاك لا تزال السياسة الداخلية

غير مستقرة فيه .

فالقضية العربيــة المقدســة تطلب من رجالنــا الذين جازفوا في سبيلها التقدم الى مرتبة اعلى مما هـم عليه والقضية العربية المقدسة تحتاج الى ان يتصف رجالنا بكلمة (البطولة) لناخذ اعلى مقياس للتقدم في سبيل القضايا الاممية . والقضية العربية تحتاج الى شجاعة ادبية معهودة عند الرجال السياسيين . والقضية العربيــة في حاجـة الى سياسي صريح او كمـا يقول الغربيون عنه الى رجل (يمسك الثور بقرنيه) .

والعراق في غنى عن اعطـاء امثلة البطولة وتأريخ العراق حافل بقول (خالد بن الوليد) لقد اتيناكم برجال يحبون الموت كما تحبون الحيـاة وهـل توجـد بطولة عالميـة كبطـولة (خالـد)او (البطـولة الخالدية) ؟ .

في كل الادوار ظهر في عراقنا ابطال وفي كل الادوار ظهر في تربته اشخاص تشير اليهم الامم بالبنان وفي كل الادوار انجب العراق افذاذا لا نظير لهم في التاريخ !

ففي زمن (الاكديين) ظهر سرجون وتلبيته نداء واسرجوناه ! (١)

وفي زمن بابل ظهر حمورابي !

وفي زمن الفتح الاسلامي ظهر (خالد) وقوم (خالد) .

وفي زمن (امية) ظهر (الحجاج) وتلبيته نـداء امرأة عربيـة في

---

(١) من آسية الصغرى .

السند حينما صاحت واحجاجاه !

وفى زمن العباسيين ظهر (احمد بن حنبل) الشيبانى وموقفه النبيل الذى لم نجد له نظيرا فى الشجاعة الادبية .

كل هذه امثلة للبطولة العراقية وكل هذه مرقاة لابناء (٩) شعبان لكى يتدرجوا من المجازفة الى (البطولة) وكل هذه وسائل لاستيقاظ همم ابناء (٩) شعبان للوصول الى الغاية المنشودة فى سبيل الوحدة العربية .

وتاريخ البطولة العربية فى العراق وما شملته من حكم رشيدة تكفينا لانهاض همم ابناء (٩) شعبان وهى كافلة لان تأخذ بايديهم الى (المثل الاعلى) .

فقد اتى العرب تحت قيادة (سعد بن ابى وقاص) وتحت زعامة (عمر بن الخطاب) وكانوا قليلين فى العدد (١) كثيرين فى الايمان بالله فوقفوا وقفة الجبابرة فى حرب القادسية وكان فى جيش الفرس (الافيال) وما اوقعت بصفوف العرب اول يوم حتى اضطرب القائد مما عملوه من الفتك فى صفوف جيشه واخذ يستشير قواده فيما يعملونه للخلاص من هذه الفيلة الفتاكة فما كان من عمرو بن معد يكرب الزبيدى الا ان فقأ عين احدهم حتى ولى الادبار فرد كيد الاعداء الى نحرهم وصاح بقومه رحمه الله : يا آل زبيد انهم

---

(١) يرى الخطيب البغدادى : اراد عمر ان يقسم السواد فعدوهم فاصاب كل رجل ثلاثة من الفلاحين فاستشار عمر فيهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : للناس نايبة ولا يبقى لمن بعدهم شىء فتركهم ج ١ ص ٨ .

يموتون ! (١١) .

ترينا هذه الحكاية نوعا من البطولة العربيـة ويرينا (عمرو بن معد يكرب الزبيدى) فى حكاية اخرى نوعا من البطولة العالميـة فى الحكـم الرشيد لان جوابه الى (عمر بن الخطـاب) بحق سـيفه (الصمصامة) من اننى ارسلت اليك السيف ولم ارسل اليك الساعد من الحكم التى يتباهى بها العرب وهى حكمة جديرة بكل شـاب عربى ان يعرف مغزاها وهى عظة بالغة يجب على ابنـاء (٩) شعبان ان يقتدوا بهـا فالانظمة والقوانين ومـا يتبع ذلك من القواعـد غير كافية لنوالنا الاستقلال المنشود فى حد ذاتها ما لم تدعمها وتديرها وتسير امورها ادمغة جبارة تسعى وراء الغاية المنشودة التى عاهـد الله عليها الذين آمنوا وصبروا واتقوا الله كثيرا وبذلك نكون قـد عملنا بمغزى سنتنا العربية القائلة « ارسلت اليك السيف ولم ارسل اليك الساعد » .



(١١) لان العرب كانت تعتقد يومئذ ان الفيلة لا تموت .

قوميتنا

من المسائل التى ادت الى عدم استقرار الوضع السياسى فى العراق مسألة (القومية العراقية) .

ومن المشاكل التى ادت الى عدم استقرار الوضع السياسى فى البلاد العربية مسألة (القومية العراقية) .

ومن الامور المهمة الحيوية التى جعلت المشتغلين فى القضية العربية ـ ويا للأسف ـ غير واثقين بنجاحها هى قضية (القومية العراقية) .

لست بصدد نبش التأريخ القديم المبنى على الحفريات والذى حفظه لنا الاجداد مكتوبا على الآجر النى ليبقى ابد الدهر كذكرى لابناء الجيل الحاضر .

ولست بصدد تذكير (الشباب العربى) بما فعله الاجداد فى كتابتهم على الآجر النى واختيارهم ذلك .

ولست بصدد تفهيم (الشباب العربى) القصد من كتابتهم على الآجر النى من كونه احفظ لعاديات الدهر وانه يتصلب ويقوى ويشتد فيما اذا اصيبت العظمة السامية بحريق اتاها من الشعوب الشرقية .

واننى فى غنى عن تذكير (الشباب العربى) لو كان يعلم تأريخه القديم جدا وما يراه اسلافه فيه وما قصدوه من هذه الاشارة فى هذه الكتابة على الآجر النى .

نشرت فى جريدة الاستقلال .

ان كنت سكت عن ذلك فالآجرة النية تعطى (الشباب العربى) مرآة للتصلب والمقاومة والتحسن وقت الشدائد وهذا هو الدرس البليغ الذى اعطاء السلف الصالح للجيل الحاضر .

لو ان قومى انطقتنى رماحهم نطقت ولكن الرماح اجرت

فهذه الآجرة النية التى حفظت لنا منذ آلاف السنين والتى تقوى وتصلب وتشتد فيما اذا اصابها الحريق تنطق بلسان العربى القائل : جزى الله الشدائد عنا كل خير .....

وهل تقدمت امة من الامم بغير الشدائد ؟ ....

لندع الماضى القديم جدا فى ذمة التاريخ ولنفتح الصفحة الاخيرة صفحة (الامة العربية فى العراق) او صفحة (العراق العربى) .

غفرانك ربى ! ...

لا أريد ان ادلى بالبراهين على ان العراق موطن العرب الاصلى لان ذلك يجرنا الى الحفريات !

ولا اريد ان استشهد بكتب المؤرخين منذ زمن الاسكندر وما قبله لانذلك يجرنا الى الاستشهاد بكتب الاجانب !

ولا اريد ان استشهد بسوق عكاظ التى كانت تحت رعاية ملك العراق العربى لان ذلك يجرنا الى عهد العرب فى الجاهلية !

بل الذى اقصده من كتابتى هذه قراءة الصفحة الاخيرة من صفحات العراق العربى واعنى بذلك صفحة الفتح الاسلامى .

فبعد ان بنى (عمر بن الخطاب) مدينتى البصرة والكوفة اجتمعت

الشعوب الشرقية فى (نهاوند) تحت رئاسة (يزدجرد) كما اسلفنا فكان التجمهر وكانت معركة (نهاوند) وكان الفصل فى ذلك ان يبقى العراق عربيا . ولما تحفز الموالى جهارا زمن الحجاج اعطى حكمه الحجاجى بان يبقى العراق عربيا ايضا .

علمت الشعوب الشرقية ان لا طاقة لها بمقاومة العرب فى العراق بالسلاح الابيض فاستعملت السلاح الخفى ونعنى به (الجمعيات السرية) لتحدث الشقاق فى صفوف العرب فتمهد لها الطريق لاجل العراق فكانت (الدولة العباسية) واضحى العراق فى (مفترق الطرق) .

وخطبة السفاح فى الكوفة واعتزازه بالخراسانيين وما تلى ذلك من القتل والفتك بالقادة الذين قاموا باحداث الدولة يرينا تباين النزعات واختلاف الغايات ولما يمضى عليها عهد بعيد حتى رأينا الشغب على ابى جعفر المنصور ونراه يشكو التياث الجند عليه ويخاف ان تجتمع كلمتهم فيخرج الامر من ايدى العباسيين ونرى (قثم بن العباس) يعطيه رأيا من اجل سلامة الدولة لا نرانا فى حاجة الى نشر ذلك الرأى فنظرة واحدة الى التشتت الموجود فى العراق فى الوقت الحاضر كافية لمعرفة ذلك الرأى الفطير .

بيد أن شيئا واحدا لا يمكننا التغاضى عن التصريح به حول ذلك الرأى ، انه افسد العصبية العربية فى العراق فكان ما كان من خاتمة

حياة العرب والعباسيين فيه ([١٢]) .

كل ذلك يرينا صراحة مدلول (القومية العراقية) فيما مضى .

وكل ذلك يرينا الحقوق العربية وما يتبع ذلك الامة العربية فى العراق . ولو درسنا (القومية العراقية) فى عهدنا هذا لما نراها تخرج قيد شعرة عن ماضيه القديم ابدا . فالاكثرية فيه عرب ويتبع ذلك مواطنونا الاكراد والايام الماضية ترينا الصلة المتينة بين هذين الشعبين فى رفع راية الاسلام والعرب . والعبر التأريخية ترينا غيرة الاكراد القوية لاجل العرب والاسلام وبعد هذا فلا تخرج (القومية العراقية) عن دائرة (القومية العربية) . فقد كانت قرى الاكراد ممتدة من جبال الزار اوزاغروس حتى خراسان وكان العرب ونخص منهم (ربيعة) قطنت بشمال العراق مجاورة الاكراد منذ زمن الجاهلية وكان الشيبانيون ممتدين على جانبى دجلة الشمالى حتى جزيرة ابن عمر فى عهد امية وكان فى الجزيرة ايضا بنو تغلب وغيرها من العرب.

وكانت الرابطة قوية بين العرب والاكراد لان الاكراد كانوا اخوال (مروان بن محمد) آخر ملوك امية فانتصار الخراسانيين فى

---

(١٢) تذكرنا الاضطرابات المتكررة التى حدثت بالعراق والتى تسببت من السياسة التى وضعها (ارنولدولسن) بما كتبه ابو مسلم عندما بيض ما كان بن كالى الديلمى :

أرى نارا تشب بكل واد ... لها فى كل منزلة شعاع
وقد رقدت بنو العباس عنها ... واضحت وهى آمنة رتاع
كما رقدت امية ثم هبت ... لتدفع حين ليس بها دفاع

معجم الادباء ج ١٨ ص ٣٧

الزاب كان انتصارا على العرب والاكراد معا (١٣) .

ظلت هذه البقعة الشمالية موطنا للاثنين وجمعت (الديانة الاسلامية) بينهما فامتزجا امتزاجا شديدا فكان (الكردى) يغار على الاسلام والعروبة كما يغار عليها العربى .

ولو نظرنا الى تأريخ العائلات العريقة فى البقعة الشمالية من العراق لرأينا بوضوح (وجود الدم العربى فيها) فى اواخر زمن العباسيين فعائلة « أبى احمد القاسم بن المظفر الشهرزورى » عربية الاصل وترجع الى « شيبان » وكان « ابو احمد » ذاته حاكما على اربل وغيرها من المدن الشمالية وظهر من نسله جماعة من الاعيان والقضاة بالموصل وغيرها وكانت « اربل » موطنا لها و « ابو حسن الهيكارى » من ولد عتبة بن ابى سفيان بن حرب بن امية .

(١٣) نود ان نصارح الشاب الكردى ان التأريخ الفارسى القديم لم يعط الشخصية الكردية ما اعطاها التأريخ العربى والامة العربية فالاكراد ساعدوا الفرس على العرب فى اول الفتح وظلوا على ذلك حتى قام (ابو مسلم الخراسانى) وكان كرديا فلم يذكر التأريخ الفارسى انه كان كرديا وانه اشتغل لتأسيس دولة كردية بل دمجه فى العنصرية الفارسية بخلاف التأريخ العربى الذى شاد ببطولة صلاح الدين الايوبى الكردى الذى اتفق مع القاضى الفاضل وقام بتلك الاعمال الجبارية فى فلسطين وفى مصر .

كما انا نريد ان ندع الشاب الكردى ملما بتأريخه القديم وذلك ان المصيبة التى وقعت على العرب فى العراق وختمت على الدولة العباسية عمت الاكراد ايضا وختمت على الدولة الكردية الصلاحية لان هولاكو قتل آخر ملوك بنى ايوب كما قتل الخليفة العباسى ببغداد .

ونريد ايضا ان ندع الشاب الكردى ملما بان احصاء تركية حسب تعداد سنة ١٩٢٧ ينبىء بان فيها مليونا من الاكراد و١٣٥ الفا من العرب كما ان كتاب جغرافية ايران الخاص بالمدارس النظامية يذكر فى ص ١٠٢ ان فى ايران من الاكراد ٧٥١ الفا ومن العرب ٢٩٩ الفا .

« ابو محمد الفقيه الهيكاري » من ذرية الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

كما ان المستوفي مؤلف « تأريخ اربل » كان عربيا لحميا .

وانتشار الثقافة الاسلامية فيها بواسطة العرب الاقحاح سببت ظهور بطل زمانه وفريد وقته (صلاح الدين الايوبي) الذي ضرب لنا وللاكراد والقومية العراقية (مثلا اعلى) في الاخلاق الاسلامية العربية .

فقد وقف هذا البطل الصنديد وقفة مشرفة في (القدس الشريف) وقد وقف هذا الرجل الشريف كالابن البار للعرب والاسلام وقد وقف هذا الرجل النبيل وقفة النبلاء لقومه المسلمين وقد حفظ لنا ابو المحاسن الاسدي المعروف بابن شداد سيرة البطل الخالد باللغة العربية اعترافا لفضله وتقديرا لبطولته .

كما ان (مجير الدين اللخمي) الذي يعرف بالقاضي الفاضل كان وزيره ومدبر اموره . ولكي يعلم (الشعب العراقي) العرب والاكراد معا ولكي يفهم (الشعب العراقي) العرب والاكراد ما تنطوي عليه روح هذا البطل الجليل من الآداب الاسلامية والسيرة المحمدية فانا ننشر عليهم شيئا من الخطبة التي القيت في (يوم الجمعة) او (يوم العروبة) في القدس الشريف حينما استردها من الافرنجة صلاح الدين الايوبي الكردي العراقي .

فقد صعد منبر (القدس الشريف) ابو المعالي محمد الذي يصل

نسبه الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى اول جمعة جمعت بالقدس بعد الفتح فى شهر رجب من سنة ٥٨٣ وكان السلطان صلاح الدين حاضرا ومعه اعيان دولته ومن الطبيعى ان تكون الخطبة هذه معبرة عن شعوره ومن الطبيعى ان تكون الخطبة هذه صورة طبق الاصل لما يحمله بين جوانحه من المعتقد الدينى والسياسى هذا البطل الجليل ومن الطبيعى ان تكون للشعب العراقى العرب والاكراد معا درسا بليغا من دروس القومية العراقية فيه • فقد نصت الخطبة بتقديس الآيات القرآنية والشعائر الاسلامية ثم ذكرت الخطبة اعمال السلف الخالد الجبارية الاسلامية فى (القادسية واليرموك وخيبر وهجمات خالد) فكانت الخطبة نموذجا للشعور العربى الاسلامى وكانت الخطبة نموذجا للشعور بالقومية العراقية للعرب والاكراد الحاضرين وكانت ترمز الخطبة الى (ايام القادسية) والى (الملاحم اليرموكية) والى (المنازلات الخيبرية) والى (الهجمات الخالدية) وكفى بالخطبة ان تحوى هذه الذكريات وكفى بالقومية العراقية ان تمشى على غرار القائمين بهذه الذكريات وكفى بنا معشر العراقيين العرب والاكراد معا ان نتخذ الدرس البليغ الذى اعطانا اياه (صلاح الدين الكردى العراقى) وكفى بالتذبذب السائد فى مجتمعنا العراقى ان يطيل عهده وفينا العربى الذى ضحى من اجله (عمر) وفينا (الكردى) الذى ضرب سلفه مثلا اعلى فى (القومية العراقية) للعرب والاكراد معا •

٩ شعبان

ماذا ؟

اراد (الحسين بن علي) ان يعقد للعرب جسرا يربط الماضي بالحاضر !

واراد ان يعيد مجد العرب فيبني بيتا يحيط بالجزيرة العربية المباركة من اسكندرونة فجبال الزار فخليج البصرة .

وان يكون لهذا البيت عدة اروقة يشرف منها العربي الحاضر على (بواسون) في فرانسة و (كاشغر) في حدود الصين و (دبيل) في السند و (بنجاب) في الهند !

الله اكبر ما اكبر هذه الهمة وما احلى هذا العمل .

ثم ماذا ؟

نادى في ٩ شعبان قومه العرب لبناء هذا البيت فلبى ذلك النداء ابناؤه البررة فلم يخنهم العمل في البناء ولكن خانتهم (السياسة) ولم تخنهم سواعدهم المفتولة لانجازه بل خانهم الصديق الذي لا يدانيه في اظهار المودة احد .

وبعد ذلك !

فان (الشريف الحسين بن علي) ضرب (المثل الاعلى) في الطموح وضرب (المثل الاعلى) في النبل وضرب (المثل الاعلى) في الشرف القرشي في ٩ شعبان وفي الايام التي تلت ٩ شعبان وفي الايام التي

نشرت في جريدة الاستقلال .

رحل بها الى ربه الكريم .

فيوم ٩ شعبان من الايام المقدسة فى تاريخنا العربى ! لانه يوم الهمة العربية ولانه يوم العمل العربى ولانه يوم الطموح ويوم النبل ويوم الشرف .

وبعد هذا وذاك !

فانه يوم خيانة الصديق !

اراد (الحسين بن على) ان يبنى فسطاطه العربى بين البارود ودخانه والسياسة واعمالها فذكرنا باشراف اهل الكوفة لما بنوا فسطاط (النعمان بن مقرن المزنى) فى عام ٢١ للهجرة ومنينا النفس وهى متيقنة بالنجاح اعتمادا على ما فى جبلة ابناء العرب من الخفة والسرعة فى العمل والانجاز .

فكانوا وايم الله كما اريدوا وظهروا وايم الحق كما قالوا وبرزوا الى الوجود فى اعمالهم كما راموا وبرهنوا على كفايتهم الحربية وشهامتهم العربية والفضل ما شهدت به الاعداء .

واى يوم انبل من ٩ شعبان وفيه ومن اجله ضحى (الحسين بن على) بتاجه وصولجانه لما خير بين ضيم يلحق بفلسطين وبين ابقاء التاج على الجبين فقال ولدت شريفا ومعاذ الله ان ارى بعينى قسما من العرب اذلاء فاعاد لنا عهد (عمر بن الخطاب) وقيمة العربى عنده .

واى يوم اشرف من ٩ شعبان وفيه ومن اجله يقول (الحسين بن على) عندما عاد من منفاه منهوك القوى الا من قلبه المملوء بالايمان

والوطنية لرجل اتاه زائرا (انا منكم وساعمل ما تطلبون) ! ...

واى يوم اسمى عظة واقدس تذكارا وافخم تبجيلا من ٩ شعبان وفيه ومن اجله يقول (الحسين بن على) قبل ذهابه الى ربه الكريم وقبيل ان يغمض الموت جفنيه لقومه العرب فى (قصر رغدان) : (الحمد لله الذى ردنى عليكم واراني وجوهكم واحاطنى بابنائى العرب فى قلب بلاد العرب) ثم يقول ناصحا وما اقدسها من نصيحة (عليكم بالاتحاد (١) فوالله ما ذهب بعظمة العرب غير تفرق كلمتهم) ..

فيوم ٩ شعبان يوم العرب العملى لنوال الاستقلال .

ويوم ٩ شعبان يوم العرب العملى لرفع الامة العربية الى مستوى الامم ذات الشأن وهو من ايامنا المقدسة الاخيرة وهو من ايامنا المقدسة الماضية فقد كان لنا (اذينة) فى (تدمر) وكانت لنا (الزباء) فيها وكان العالم مضطربا من جراء التنازع بين الدولتين الرومانية والفارسية وكان لنا طموح فى الاستقلال اذ ذاك وكانت جيوش (اذينة) تقف فى وجه كسرى فتسترد الغنائم الرومانية من

---

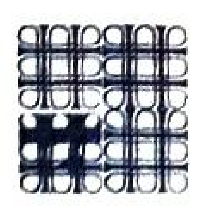
(١) نود ان نرى القارئ العربى صورة من صور العصبية العربية التى تمثلت فى ابطالنا الاقدمين فقد روى ان معاوية رضى الله عنه كتب الى قيصر ملك الروم لما بلغه انه اراد ان يغزو بلاد الشام ايام فتنة صفين وكان ما يلى :

لئن تممت على ما بلغنى من عزمك لاصالحن صاحبى ولاكونن مقدمته اليك ولاجعلن القسطنطينية البخراء حممة سوداء ولانتزعنك من الملك انتزاع الاصطفلينة ولاردنك أرِيسا من الارارسة ترعى الدوابل (اى الخنازير) . تاج العروس ج ٧ ص ٢٠٨ .

(سابور) وتحاصر (الايوان) واعقب ذلك استيلاء (اذينة) على (سورية العربية) فى الغرب فكانت حملة (اورلئان) فموت (اذينة) فى الشام وأسر (الزباء) فى (رومة) . ثم اصبحت هذه الحركة المباركة نواة لتحفز العرب الدائم فى سبيل الاستقلال فتم ما اريد واظهر العرب دويا فى العالم لا يزال اثره باقيا .

فاراد (الحسين بن على) بعد يوم العرب المعلوم ان يبنى جسرا يربط الحاضر بالماضى فى ٩ شعبان الذى يحتفل به العرب فكانت منه الهمة وكان منه العمل وكانت من الاصدقاء الخيانة والغدر .

واظهر (الحسين بن على) فى ٩ شعبان كل ما تنطق به كلمة النبل والشرف فصار اكبر يوم لاشرف عربى واشرف يوم لانبل عربى واجدى ذكرا لشباب العرب العامل من اجل قومه العرب .



مسؤوليتنا

اذا قلنا مسؤوليتنا الآن فاننا لا نريد ان نوجه الكلام الى ابناء ٩ شعبان فحسب .

واذا قلنا مسؤوليتنا الآن فاننا لا نريد ان نحرك همم رجال الحكم الوطنى فقط .

واذا قلنا مسؤوليتنا الآن فاننا لا نريد ان نستنهض همم الشعب العربى فقط .

وانما نريد بمسؤوليتنا الآن ذلك الواجب المفروض على كل فرد من افراد الشعب العراقى سواء أكان فى الحكم او فى خارجه.

فمسؤوليتنا الآن تتناول مسؤولية الدولة العراقية فهى تشمل الحكومة والشعب وهى تشمل الحاضر والماضى وهى تشمل كل كائن حى يسكن البقعة العراقية كما خلقها الله وكيفها من اجل قومه العرب رسل البشرية وقادة الامم .

فالدولة العراقية بوضعها الحاضر تتحمل مسؤولية الخيبة التى نتجت من جراء الضغط السياسى على الامة العربية .

والدولة العراقية بوضعها الحاضر تتحمل مسؤولية الحكم الوطنى للشعب العربى العراقى (الطبيعى) الذى ابت السياسة الغاشمة الا ان تجعل العربى منه مشتتا .

نشرت فى جريدة الاستقلال .

والدولة العراقية بوضعها الحاضر تتحمل مسؤولية الاربعة عشر شخصا الذين بنوا للنعمان بن مقرن المزنى فسطاطه عام واحد وعشرين للهجرة وكانوا اشراف اهل الكوفة يومئذ .

والدولة العراقية بوضعها الحاضر الذى يضم اشراف القبائل العربية تتحمل مسؤولية السباقة الكفى من سادة اهل الكوفة وكانوا (حذيفة بن اليمان) و (عقبة بن عمرو) و (المغيرة بن شعبة) و (بشير بن الخصاصية) و (حنظلة الكاتب ابن الربيع) و (ابن الهوبر) و (ربعى بن عامر) و (عامر بن مطر) و (جرير بن عبدالله البجلى) و (الاشعث بن قيس الكندى) و (سعيد بن قيس الهمدانى) و (وائل بن حجر) الذين لم ير بناة فسطاط بالعراق مثلهم .

والدولة العراقية بوضعها الحاضر تتحمل مسؤولية « ابناء الاعمام » الذين كانوا فى « اهواز » العراق قبل مجىء خالد بن الوليد اليه .

والدولة العراقية بوضعها الحاضر تتحمل مسؤولية التأريخ زمن الاسكندر عن« ارض مزن » او (مازن بن الازد) وهى « الاهواز ».

عجبت لقائل صه لقوم   علاهم يفرع الشرف الرفيعا

فمسؤوليتنا كبيرة جدا فهى تتناول المحافظة على التراث القديم وهى تتناول معالجة الامراض الاجتماعية التى ادت بقومنا العرب الى الوقوع بالهاوية وهى تتناول مسألة « القومية العربية » وما ادى بتلك الروح الشريفة الى ان تعرض فى الاسواق السياسية (فيمن يزيد) كما جرى لاميرين عربيين بالكوفة فى السنة السادسة والستين

للهجرة وهى تتناول غسل الوصمة التأريخية التى الصقت بنا معشر العراقيين منذ ذلك الحين . وهى تتناول انعاش الروح العربية التى تمثل الاباء والانفة والشمم لدى عرب العراق . وبالتالى فانها تتناول العمل الجدى من عرب العراق لبناء الدولة العربية الكبرى .

فمسؤوليتنا معشر العراقيين كبيرة لان الانشقاق حدث فى صفوفنا ولان الاختلاف ظهر فينا ولان بقعتنا مهدت الطرق للشعوب الذين لهم مطامع فينا وفى بلادنا العربية كلها ليحدثوا فينا عوامل الضعف فالانشقاق حتى نال الاغيار منا اربهم فحكمونا فى بدء الامر ثم امتد نفوذهم الى باقى البلاد العربية .

فمسؤوليتنا معشر العراقيين كبيرة وكبيرة جدا فقد كان لبيئتنا النصيب الاكبر فى انتاج الشعراء بالنسبة الى باقى الاقطار العربية قبل الاسلام .

وكان لبيئتنا النصيب الاوفر بالشعور بالحس القومى بالنسبة الى باقى الاقطار العربية قبل الاسلام .

وكان لنا التفوق العظيم فى الآداب العربية قبل الاسلام لان ملوك الحيرة يتعهدون سوقنا الادبى - سوق عكاظ - اكثر من غيرهم .

وبعد هذا ! ...

فاننا نرى التأريخ قد وصمنا باكبر وصمة وهو ان النفوس العربية الكريمة كانت تعرض فى الاسواق السياسية برسم (المزاد

العلني) لمن يدفع ثمنها سلفا فى السنة السادسة والستين حيث يقول « الامير زياد بن عمرو الازدى » لامير آخر يدعى « مالك بن مسمع الربعي » يا ابا غسان . اما انا فلا اقاتل نسيئة من اعطانا الدراهم قاتلنا معه .

فمسؤوليتنا معشر العراقيين كبيرة وكبيرة جدا لاننا نحن الذين وطدنا ملك العرب ببناء الفسطاط من قبل اشراف اهل الكوفة فى العام الحادى والعشرين ولانا نحن الذين كتب فينا ما يندى الجبين خجلا فى الحرب العامة امثال « القائد توزند » والقائد « خليل بك » .

فمسؤوليتنا معشر العراقيين مسؤولية مزدوجة بل مسؤولية غير متناهية بل مسؤولية لا تكاد نجد لها نظيرا فى التأريخ البشرى اذ هى تعود الى الماضى القديم والى الماضى القديم جدا والى الحاضر والى المستقبل للعراق وللامة العربية جمعاء .

فالعراق بوضعه الحاضر الذى اصبح ممتعا بحرية اوسع من غيره .
والعراق بوضعه الحاضر الذى اصبح كعبة السياسة العربية .
والعراق بوضعه الحاضر الذى اخذ على عاتقه ربط الحاضر بالماضى .

والعراق بوضعه الحاضر الذى انعش القلوب من اجل احياء مجد العرب الدائر .

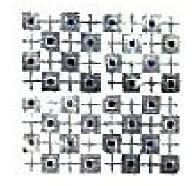
والعراق بوضعه الحاضر الذى يرمز الى مجد العرب القديم بعلمه

المحبوب الذى يرفرف على ربوعه يتحمل المسؤولية وحده ازاء الامة العربية من صعود وهبوط ٠

وبعد هذا وذاك !

فان الدولة العراقية وحدها - من دون سائر الاقطار العربية - تتحمل مسؤولية دفع الاخطار المحدقة بالامة العربية ٠ لان مسؤوليتنا مسؤولية دولة بما فيها الحكومة والشعب معا ٠

فوضعنا يختلف عن اوضاع باقى الاقطار العربية ووضعنا يساعد كثيرا للعمل فى داخل العراق وخارجه ووضعنا امر تعترف به الدول ووضعنا السياسى يساعدنا كثيرا للمطالبة بحقنا العراقى وبحقنا العربى وبحقنا الاممى ٠



اعمالنا

من حسنات الجزيرة العربيـة المباركة انها علمت ابناءهـا سرعة العمل وسرعة الانجاز .

ومن الآداب الاسلامية ما ورد فى الحديث (رحم الله امرأ عمل عملا فاتقنه) .

ومن مزايا ثورة ٩ شعبان انها نادت بآمال العرب واعلنت انها مقدمة لعمل كبير يربط حاضر العرب بماضيه القديم .

ومن حسنات الدهر ان يبلو العرب باشد الصعاب ليكون لهم من ماضيهم عبرة .

فقد كانت الثورة وكان النـداء الذى ارتفع صوته من الحجاز ونقش الامل العربى فى خريطة بلاد العرب وتجمع اشتات الناطقين بالضاد تحت لواء (الامة العربية المقدسة) .

ولكن الاقدار ارادت ان تمتحن العرب فعاكست تلك الآمال اللذيذة بمعاهدة (ساكس - بيكو) ثم بوعد بلفور ثم بتخوم العراق المبتورة . فكأن ابناء ٩ شعبان لم يكونوا من القوم الذين يقول فيهم الحطيئة :

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا

اندلع لهيب الثورة وأخذ (المكتب العربى) المعهود يمنى الشباب

نشرت فى جريدة الاستقلال .

من جهة ويدير سياسته المقررة من جهة اخرى فاضحت الآمال العربية معلقة بين السماء والارض وامست الامة العربية شعبا مشتتا لا تجمعه رابطة سياسية ولا يضمه مبدأ واحد . وصار رجال ٩ شعبان فى اعمالهم الماضية والحاضرة ايضا كمن يخرج من الغرفة الى الايوان ومنها الى فناء الدار .

تجزأت البلاد العربية تجزءا لم يعهد التأريخ له نظيرا .

وتشتت آراء الامة العربية تشتتا لا نكاد نجد له مثيلا .

وضعف الحس القومى عند العرب حتى بدا الهزال فى المجتمع العربى فوصل الضعف الى درجة يمكننا ان نقول فيه : (ان لا وجود للعصبية العربية عندنا) .

ان لنا فى ماضينا لعبرة وان لنا فى حوادثنا التى سلفت لدرسا الى ما تؤول اليه اوضاعنا الحاضرة .

كانت الدولة الاموية دولة عربية وكانت قيادتها بيد ابنائها وكانت الامة حينئذ تشعر بمسؤوليتها القومية فتنجب للعرب من آن الى آن رجالا افذاذا .

وكانت العائلات العراقية بزت سائر العائلات العربية بما انجبته من الابطال من تميمها وازدها وشيبانها . فلما صار الامر الى العباسيين وكان جيشها خليطا وكان القائمون بدعوتها يضمرون خلاف ما يظهرون وقع الخلفاء العباسيون باشد المحن فكانوا بادىء بدء ينقذون من الموت بسبب العصبية العربية فكان (معن بن زائدة

الشيبانى) وكان (جهور بن مرار العجلى) .

ولما قويت القيادة والزعامة بيد الخراسانيين زمن (هرون الرشيد) ظهرت (البرامكة) ([1]) وللبرامكة هوى فى السياسة افصحت عنه النكبة المعلومة وكان عندنا فى زمن (هرون الرشيد) وفى زمن زعامة البرامكة احد الشجعان الابطال يسمى (الوليد بن طريف الشيبانى الشارى) وكان (الوليد) هذا رأس الخوارج وكان مقيما بنصيبين والخابور وتلك النواحى فلما استفحل امره ارسل اليه هرون جيشا تحت قيادة (يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى) فجعل يخاتله ويماكره وكانت البرامكة ـ طبعا ـ منحرفة عن يزيد هذا فاغروا به الرشيد قائلين : انه يراعيه لاجل الرحم !

أفهمت ايها الشباب العربى ؟

فكان من الرشيد تهديد اليه وكان منه الطاعة للامر فختم على حياة الوليد . وكانت للوليد اخت تسمى (الفارعة) رثته بالابيات الآتية :

يا بنى وائل لقد فجعتكم — من يزيد سيوفه بالوليد
لو سيوف سوى سيوف يزيد — قاتلته لاقت خلاف السعود
وائل بعضها يقتل بعضا — لا يفل الحديد غير الحديد

---

(١) سوف يرى القارئ فصلا ممتعا فى اعمال البرامكة المنظمة لهدم دولة العرب فى (ربيعة العراق) .

لقد آن لنا معشر العرب ان نتم العمل وان ننجز المسعى وان نتقن ما نريد .

وقد آن لنا ان نتأدب باداب الرسول وان نهتدى بحديثه المشهور (رحم الله امرءا عمل عملا فاتقنه) .

صدمنا (المكتب العربى) بسياسته المقررة فشتت اقدس امانينا .

تجزأت القوى العربية بتلك السياسة فاصبح الانشقاق بارزا للعيان .

دخلت تلك السياسة فى صفوف المجاهدين فى سبيل القومية العربية ففترت العزائم ووهنت القوى .

تخللت تلك السياسة فى كل منهج قومى فصارت خير واسطة لضرب العرب بعضهم بعضا فاعادت لنا ابيات (الفارعة التى تقول فيها :

وائل بعضها يقتل بعضا   لا يفل الحديد غير الحديد

فوضعنا الحاضر بعد الحرب العامة وتألب الامم الشرقية منها والغربية على العرب ورضوخنا للامر الواقع كما يريده الغير بنا قد اعاد الفكرة التى انتشرت بانتشار (الشعوبية) فى اوساطنا العربية وتلك الفكرة ايها (الشاب العربى) تقول : (ان العرب لا يصلحون للحكم) .

انتشرت (الشعوبية) هذه زمن المأمون وظلت هذه الفكرة تعمل عملها فى مجتمعنا العربى حتى انست العرب انفسهم وحولت مجارى

افكارهم القومية الى ما يحبب اليهم الذل والانقياد لكل من يتولى امرهم فرسخ فيهم حب الانقياد والطاعة لمن يتولى امورهم من الاجانب ومن الطبيعى ان يموت فيهم حس المسؤولية والشعب الذى يموت فيه حس المسؤولية لا يستطيع ان ينجب رجالا قادة يجيبون تلبية الضمير الحى اذا دعا .

والشعب الذى يفقد الشعور بالرقابة الامم الناهضة لا يستطيب الحرية ولا يستلذ بطعم الاستقلال .

ان وضعنا الحاضر فى يومنا هذا قد اعاد بنا وبامالنا وبمقدساتنا الى ظلمات القرون الماضية .

وان وضعنا الحاضر فى يومنا هذا قد رمى باعز أمانينا وباقدس غاياتنا فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه امواج وان وضعنا الحاضر فى يومنا هذا قد ربط الامة العربية بآخية لا يستطيع العربى ان يتجاوز المكان المعد لحركاته .

وذكرتنا (الآخية) هذه التى أتانا بها (المكتب العربى) بما يقوله اللغويون من ان (الآرية) من جملة اسمائها .

وهل كانت الشعوبية [1] الا لاستخذاء العرب ؟

وهل كانت الشعوبية سوى ربط العرب بآخية كى لا يتحركوا ؟

---

(١) نود ان يعلم العربى القاطن بالفرات الاوسط ما نقله ابن عبد ربه فى العقد الفريد ج ٤ ص ٣٧٨ حيث يقول : (قالوا كانت فى أبى عمرو ضرار بن عمرو ثلاثة من المحال : كان كوفيا معتزليا وكان من بنى عبدالله بن غطفان ويرى رأى الشعوبية ومحال ان يكون عربى شعوبيا ومات وهو ابن سبعين سنة ؟ ؟ ؟

وهل كانت الآخية سوى (الآرية) (٢) التى كانت من جملة اسمائهـا ؟

وهل النكبات التى اتتنا معشر العرب لم يكن مصدرها الشعب الآرى او الافكار الآرية التى دخلت فى ادمغتنا ؟

ان لنا فى ماضينا لعبرة وان لنا فى حوادثنا التى سلفت لدرسـا الى ما تؤول اليه الاوضاع الحاضرة ! ...

ان (الحرية) امر طبيعى فينا معشر العرب ! .

وان (الاستقلال) حق طبيعى تبرره كل الشرائع الاممية !

واذا ادركنا ان (الاستقلال) يؤخذ ولا يعطى وان الاستقلال يتطلب الجهود المستمرة وان الاستقلال يتطلب اجابة الضمير الحى الى تلبية الواجب المقدس وان الاستقلال يتطلب القيـام بالواجب العربى الذى له الماضى المجيد فان النبى صلى الله عليه وسـلم يقول (رحم الله امرءا عمل عملا فاتقنه) .

---

(٢) ذكرت دائرة المعارف البريطانية ما يأتى :-
يترجم بعض كلمة (آريانى) بمعنى النبيل وهو اسم احدى قبائل الشعوب الهندية الاوربية .

ويقول السر جورج غريرسن : ان الهنود والايرانيين المتحدرين من العرق الهندى الاوربى لهم ملء الحق ان يسموا انفسهم آريين اما نحن الانكليز فلا يحق لنا ذلك .

وكان (ماكس ملر) الذى استعمل هذا المصطلح دائما حذرا وفرق بوضوح ما بين المعلومات التى من اختصاص عالـم البشرية الطبيعية والمعلومات التى يدرسها عالـم الثقافات والمواد اللغوية التى تقتضى تدقيق فقهاء اللغة ولا بد من مرور الزمن لازالة الهفوات التى تدفع اليها الحماسـة . ولكن الباحثين الذين يتوخون العلـم والدقة فى بحوثهم يقبلون نظرية (بوارس) من ان الشعب قد يبقى ثابتا فى طرزه ولغته ويتغير فى ثقافته وقد يظل ثابتا فى طرزه ومتغيرا فى لغته او انه قد يظل ثابتا فى لغته ومتغيرا فى طرزه وثقافته .

ولا يوجد مثال فى العلم احسن من هذا واجلى على خطر الصاق الاسماء بلا تدقيق وتمييز معقول .

العراق ونجد

فى اليوم الذى يكون فيه مندوب العراق فى جنيف حاملا شكواه لاعتداء ايران على العراق العربى .

. . . .

. . . .

يصادف عيد جلوس ملك الجزيرة العربية (عبدالعزيز السعود) .

انه ليوم مشهود وانه ليوم مؤلم وسعيد وانه ليوم سيكون من الايام الشهيرة فى تأريخ الامة العربية التى يتمنى فيه الملكان لشعبيهما العربيين السعادة والهناء .

كان للبرقيتين المتبادلتين بين عاهلى العرب بمناسبة عيد جلوس جلالة عبدالعزيز السعود أثرهما الحميد فى عاصمة العراق العربى الذى فار دمه بسبب النزاع الذى أحدثته الحكومة الايرانية حول الحدود وكانت البرقيتان تنمان على روح عربية بلغت أقصى ما يتمناه العرب فى يومهم هذا والى القارىء نص البرقيتين :

بغداد فى ٨ كانون الثانى ١٩٣٥ .

صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ــ مكة .

لمناسبة عيد جلوس جلالتكم يسرنى ان ابعث اليكم بتهانى الحارة مشفوعة باطيب التمنيات لسعادة شخصكم ورقى شعبكم النجيب .

غازى

الرياض فى ٩ كانون الثانى ١٩٣٥ .

جلالة الملك غازى ــ بغداد .

تلقيت برقية جلالتكم الرقيقة بذكرى الجلوس وانى اشكر جلالتكم على تهنئتكم الكريمة وأمانيكم وتمنياتكم الطيبة متمنيا لجلالتكم الهناء والسعادة وللشعبين العربيين فى بلادينا الاتحاد والسعادة والهناء .

عبدالعزيز

وما عسانا ان نقول فى هذا اليوم الذى يمثل لنا بوضوح لا غموض فيه ولا ابهام نوايا الدولة الايرانية . . . .

وما عسانا ان نقول فى هذا اليوم الذى يبعث به عاهل العراق الى صاحب الجلالة عبدالعزيز السعود تهانيه الحارة مشفوعة باطيب التمنيات لسعادة شخص الملك العربى فى الجزيرة ؟

وما عسانا ان نقول فى هذا اليوم ومندوبنا فى العصبة قد شاهد بأم عينه جدال الامة الالمانية لاسترجاع السار الالمانى ؟

انه ليوم الاستخفاف بالشعب العربى وانه ليوم الاستهانة بالعرب وانه ليوم الذل فى حياة العرب العراقيين وانه ليوم الامل المشع الذى يتمنى فيه عاهل العراق الرقى للشعب العربى النجدى .

فى هذا اليوم المؤلم والسعيد فى آن واحد تعرضت ايران للعرب اجمع باعتدائها على القدسية العربية والفضيلة القومية والشرف العربى .

وفى هذا اليوم يبرق عاهل الجزيرة العربية الى ملك العراق متمنيا لجلالته الهناء والسعادة وللشعبين العربيين فى بلاديهما الاتحاد والسعادة والهناء .

انه ليوم عظيم فى ايامنا القومية وانه ليوم جليل فى حياتنا السياسية وانه ليوم كبير تجلى فيه الشعور العربى المتحد ضد من يريد بالعرب كيدا !

ان هذه البادرة الجديدة التى ظهرت فى الافق العربى الجميل بمناسبة عيد جلوس ملك الجزيرة ٠

وان هذه العواطف العربية النبيلة التى اتت من قلب الجزيرة الى العراق فى يومه الذى يرى فيه مندوبه فى جنيف متأبطا اضبارته للدفاع عن حق العراق العربى الصريح ٠

وان هذا الشعور الحى الذى اتانا من الجزيرة المباركة كعادته الماضية فى توالى الاحقاب سوف يجعل هذا اليوم سعيدا بكل معنى الكلمة وسوف يكون يوما من اعياد العرب المقبلة وسوف يكون يوما من الايام المشهورة فى تأريخ الامة العربية ٠

ان هذا اليوم الذى اعتدت فيه ايران على العراق وان هذا اليوم المملوء بالتمنيات لاتحاد عربى الجزيرة والعراق وان هذا اليوم الذى تعترف فيه ايران نفسها بأحقية العراق فى شط العرب : لان القبائل التى تسكن ضفافه عرب اقحاح (١) ولان المقاطعة الواقعة فى يساره عربية ايضا ولانها مكتوبة بكلمة (عربستان) فى (نقشه ايران) ولانه

---

(١) كان الاهواز وقت الفتح العربى منازل بنى الاعمام وهم (مرة بن مالك بن حنظلة) من تميم فلما وجه (عتبة بن غزوان) سلمى بن القين وحرملة بن مريطة من البصرة وهما من بنى العدوية من بنى حنظلة اتاهما من الاهواز غالب الوائلى وكليب بن وائل الكليبى وقالا :

أنتما من العشيرة وليس لكما منزل فاذا كان يوم كذا وكذا فانهدوا للهرمزان فان احدنا يثور بمناذر والاخر بنهر تيرى فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا اليكم فليس دون الهرمزان شىء ان شاء الله .... ولما تم الفتح هاجرت طوائف من بنى العم فنزلوا البصرة لهذا قال جرير الشاعر :

سيروا بنى العم فالاهواز منزلكم ونهر تيرى ولا تعرفكم العرب

يوم الاتحاد النجدى العراقى من اجل سعادة العرب سيكون يوما للعرب كيوم السار للالمان .

فان كان مندوبنا فى العصبة يحمل اضبارة الشكوى من اجل اعادة حقوق العرب فى خليج البصرة .

وان كان مندوبنا ينظر رجوع السار الالمانى للامة الالمانية التى يعيش الفرد الالمانى من اجلها .

فالشعب العراقى النجدى والنجدى العراقى او العربى الذى امتلك خليج البصرة منذ زمن اسكندر المكدونى حتى يومنا هذا يريد (السار العربى) .

وان كانت المانية استرجعت سارها لما لها من الحقوق فيه ولما عندها من الاتحاد والقوة فالشعب العراقى النجدى والشعب النجدى العراقى والشعب العربى يريد (السار العربى) لما له من الحقوق فيه ولما عنده من الاتحاد والقوة .



وفدنا

في يوم الاثنين وفى التاسع والعشرين من ذي القعدة لسنة ١٣٥٣ هجرية تحرك وفدنا الكشافى من بغداد قاصدا الحجاز بعد ان زوده المغفور له صاحب الجلالة الملك غازى الاول بكلمات ارشادية ثم قال جلالته : ان رحلتكم المباركة سيكون لها الاثر الحسن فى تقوية الصلات بين القطرين .

ولم تكن هذه الحادثة ـ ارسال وفد عراقى الى الحجاز ـ لاول مرة فى تأريخ العراق العربى .

قد انتجت رحلة الوفد ما كان يؤمله دعاة الوحدة العربية من وحدة الشعور بل كشفت لنا ولغيرنا ما تكنه صدور العرب عن وحدة السرور ووحدة الالم وهذه الوحدة سوف تكون نواة لظهور الامة العربية بمظهر العضو الحساس فى المجتمع الامى .

فقد قال عاهل المملكة العربية السعودية فى عيد الاضحى للوفد العراقى :

انا مسرور من هذه النهضة العلمية المباركة التى ظهرت فى العراق والتى سيكون لها اكبر اثر فى تقدم العرب .

وانا مسرور ايضا بمشاهدتكم فى بلادى لتزداد بالتعارف الصلة التى تربط بلادنا ببلادكم وشعبنا بشعبكم ويتضاعف سرورى بلقياكم لانكم اول بعثة تأتينا من العراق فذكرى هذه البعثة ستبقى فى نفوسنا .

ترد الينا فى كل يوم اخبار النهضة فى العراق ما يسر الخاطر ويشرح الصدر ونحن اذا فرحنا لذلك فانما نفرح لانفسنا لاننا نحن والعراق واحد تربطنا به روابط كثيرة واهمها (اننا والعراقيون عرب) وخصائصنا واحدة فكل ما يسر العراق يسرنا وكل مصيبة تصيب العراق هـى مصيبة لنا . (نألم لالم العراق ونفرح لفرحه) . وكذلك مصالحنا مشتركة فالعراق هو فى الحقيقة سد لنا يحول دون توغل احد فى بلادنا فلا عجب اذ نحن عنينا بامره عنايتنا بأمورنا ، لذلك انا اقول لكم فى هذا المحفل الحشد اننى اعاهد الله واعاهدكم على ثلاثة امور :

فقد كان ملكنا العراقى قبل الاسلام يتعهد سوق عكاظ ويرعاها بعنايته الملكية ويمدها بوسائل التشجيع وينظر اليها بنظر العطف .

كانت لنا اسواق فى الجاهلية نعرض فيها بضاعتنا التجارية كما نعرض فيها نبوغنا الفكرى وانتاجنا العقلى وشعورنا القبلى والقومى .

وكان للعراق سوقه الادبى التجارى فى (مربد البصرة) وكان سوق المربد كسائر الاسواق حاشا (عكاظ) التى كانت يرعاها ملك العراق قبل الاسلام .

فقد كان كل شريف يحضر سوق بلده كالمربد وذى المجاز ومجنة وحباشة وغير ذلك الا سوق عكاظ فان العرب كانت تتوافى بها من كل جهة فكانت اعظم الاسواق ولهذا كانت محل رعاية ملك العراق العربى .

---

١ ـ نحن دعاة ندعو المسلمين لان تكون كلمة الله هى العليا .
اعاهد الله ثم اعاهد المسلمين على ان لا احيد عن ذلك قط .

٢ ـ اعاهد الله على ان اكون انا وعيالى وجندى مجاهدين فى سبيل العرب وفى نصرة العرب .

٣ ـ اعاهد الله على اننى سابقى ما زلت حيا محافظا على الود مع العراق بنفسى وشيمتى .

هكذا كانت التصريحات التى ادلى بها عاهل المملكة العربية الى وفدنا الكشافى واذا نظرنا الى ايام العرب الماضية فانا نراها كونت حلفا عربيا قوميا اولدته الايام بطبيعة الحال من جهة وبنتيجة ضغط العوامل الاجنبية من جهة اخرى ولهذا اردف صاحب الجلالة تصريحاته الماضية بتصريحات اخرى امام ممثلى الصحف العربية فيما يتعلق بالعراق فقال جلالته : العراق منا ونحن منه والذى يؤلم العراق يؤلمنى والذى يسره يسرنى فالعنصر واحد والامة واحدة وما يريد احد بالعراق شرا الا وهو يريدنى وبلادى مثله .

فقد ارسل (ملك الحيرة العربى) زياد بن معاوية الذى يرجع الى غطفان ثم الى قيس عيلان المضرى الشاعر الكبير (النابغة الذبيانى) كى يشرف على هذه السوق الادبية ويعطى الجوائز لمن يستحقها من شعراء العرب كافة . لانها كانت للعرب اجمع ومن الطبيعى ان يرى ملك العراق يومئذ نفسه حاميا الآداب العربيـة التى تتجلى وتظهر عند المبرزين من شعراء العرب فى هذا السوق .

سلك وفدنا الكشافى ذلك الطريق الذى سلكه (النابغة الذبيانى) من قبل فلم ينحرف الوفد الا من جهة (حائل) بينما الذبيانى مر على (حصن فيد) الواقع فى جنوبها .

احرم وفدنا العراقى من (ذات عرق) التى هى ميقات اهل العراق والتى تقع سوق عكاظ بينها وبين الطائف فكان وفدنا الكشافى قد تابع خطوات رسول ملكنا العربى الذى اشرف على سوق عكاظ فى الجاهلية .

خذ عنى هـذا القول ـ مخاطبا مندوب جريدة الاستقلال المجاهـدة فى سبيل العرب ـ : ان لحمى وعواطفى ودمى واولادى وجيشى وجميع ما املك هو للعراق وفى سبيل العراق .

وانى والله ادافع عن العراق اذا ضيم حتى النفس الاخير .

ادافع عنه لانه سد بينى وبين الدول الطامعة فى البلاد العربية .

ادافع عن العراق لاننى رجل اعلم علـم اليقين ان من تغذى بالعراق فقد تعشى بنجد .

والعراقيون اخواننا فكثير من القبائل العربية النجدية رحلت الى العراق وهى الآن من البيوتات الكبيرة والعوائل الراقية فى العراق .

فذات عرق الشهيرة فى التأريخ بحروب عدنان مع بختنصر حيث ظهر فيها عدنان لاول مرة وذات عرق الشهيرة بموقعها فى طريق سوق عكاظ اصبحت محل احرام وفدنا الكشافى العراقى الى بيت الله الحرام .

وذات عرق التى احرم منها كشافنا العراقى ميمما وجهه شطر المسجد الحرام كانت اول بقعة التقى بها كشافنا مع النبى الكريم فى الجاهلية فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم فى المواسم بمجنة وعكاظ يبلغ رسالات ربه .

وسوقنا الادبية هذه كانت قائمة فى الاسلام ايضا حتى سنة تسع وعشرين ومائة فعطلت بسبب الخوارج .

لم يذهب وفدنا الكشافى كما ذهب النابغة الذبيانى من قبل لتقسيم الجوائز بين المبرزين من شعراء العرب .

ولكن وفدنا الكشافى الممتلىء صحة المتشبع رجولية المؤمن بالله حقا قد رمز الى العالم العربى والاسلامى بعلمه العراقى الذى كان يخفق فى ربوع مكة فى عام ١٣٥٣ هجرية .

رمز كشافنا العراقى بعلمه الى ما عند الشباب من الهمة القعساء فى العمل المثمر والشجاعة فى الخطوب ورحابة الصدر والكرم فى الاخلاق والغلبة والسيطرة فى المعامع .

فظهور علمنا العراقى فى ربوع مكة فى عام ١٣٥٣ هجرية فوق

اشبال العراق كان خير رمز الى صفات الشباب العربى وكان افصح ناطق حيث يقول :

بيض صنايعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا
لا يظهر العجز فينا دون نيل منى ولو رأينا المنايا فى امانينا

سلك وفدنا الكشافى ذلك الطريق الذى سلكه (النابغة الذبيانى) من قبل فى الجاهلية وكان الطريق هذا طريق الوفود كما كان طريق الحج فى الجاهلية والاسلام فقد اعقب النابغة وفد ربيعة الى الرسول صلى الله عليهم وسلم فى السنة التاسعة ثم وفد فتى العراق (المثنى بن حارثة الشيبانى) على أبى بكر رضى الله عنه وكان اثره ان فتح الله على العرب الممالك الشرقية وان رفعت رايات العروبة فى حدود الصين فوفدنا الكشافى الذى ذهب فى عامه هذا الى البيت الحرام سيتبعه وفود الى ان يتبوأ العربى مركزه اللائق به بين الامم .

فالطريق الذى سلكه وفدنا الكشافى لاول مرة فى تاريخ حياة دولتنا الفتية العراقية عدا كونه طريق الوفود من قبل وطريق الحاج ايضا فقد كان طريق الجيش العربى الفاتح وكان طريق الاشاوس من ابناء يعرب وكان طريق رسل الانسانية والمدنية إلى العالمين الشرقى منه والغربى .

وكان طريقا اجتازته امة تعودت على رفع منار المدنية منذ آلاف السنين .

فوفدنا الكشافى بهذه الرحلة قد اعاد لنا ذكريات الايام التى سبقت انتشار الوحدة العربية والدعوة الاسلامية .

ووفدنا الكشافى بهذه الرحلة قد قوى فى جسم الامة العربية عوامل الوحدة فى العقيدة والرأى والعمل المقبل ان شاء الله تعالى !

—— × ——

الطبعة الاولى ٣٠٠٠ سنة ١٣٥٤

الطبعة الثانية ٣٠٠٠ سنة ١٣٥٩

ملحوظة

نشرنا فى هذه الرسالة المخططات الآتية خدمة للتاريخ العربى والثقافة العامة :

١ ـ خريطة بغداد التى وضعها هرسفيلد استنادا الى تطبيقات اندره وبكر .

ومنها يعلم موقع بغداد القديمة بالنسبة الى الحاضر وفيها يعلم ايضا محلتى بغداد القديمتين (دار القز والنصرية) .

٢ ـ مخطط بغداد كما وصفها ابن سرابيون حوالى سنة ٢٨٩ هجرى نقلا عن (لهسترانج) .

٣ ـ خارطة تقسيم تركية نقلا عن كتاب (هـ. كمنك) نشره فى سنة ١٩٣٨ .

الملحق الاول

تابع ص ٢٢

صورة كتاب بعث به مصطفى كمال الى انور باشا تاريخه ٣٠ ايلول سنة ١٩١٧ .

ارفع الى فخامتكم الملحوظات التالية فى الموقف العام لان مقدرات البلاد فى يدكم وقد رفعتها بعد انعام النظر غير منطوية على ما يوجب الفزع او التشاؤم :

(١) لننظر فى حالة البلاد العامة قبل كل شيء آخر ان الحرب قد اثرت فى شعبنا تأثيرا اشد مما لها فى بلاد اخرى وقد انفصمت العرى التى تربط الشعب بالحكومة فالباقون فى بيوتهم يحمدون الله على اختفائهم عن نظر الحكومة المركزية . لانه وان لم يكن للشعب (النساء والعجز والمتخلفون) ما يكفى للعيش الا ان الدوائر المدنية والعسكرية مرغمة على التمادى بالصرامة فى جمع المؤن .

ولا تستطيع الحكومة السيطرة على الموقف العام المتدهور الى الفوضى والتدابير التى تتخذها الحكومة باسم الشعب تنافى حقوق الشعب فيزداد تذمر السكان يوما بعد يوم . ومما زاد الطين بلة فى ضعف الادارة المدنية هو الفاقة والرشوة والاستغلال والموظفون من غير ذوى الكفاية والعبث بالعدالة وهذه المساوى بادية فى كل مكان فى البلاد وهناك ادلة قوية تدل على النكبة الحالة بالصناعة الاعتيادية وتدارك وسائل الاعاشة فعليه اذا دامت الحرب سيكون اشد خطر تجبهه انحلال الانبراطورية انحلالا داخليا وهى مهددة من كل جهة .

(٢) ليس فى الموقف العسكرى ما يدل على قرب انتهاء الحرب فحلفاؤنا مصممون على الحصول على سلم بمعونة القوات العسكرية ولا يريدون فتح باب المناقشة فى شروط الصلح ان المصادر الالمانية محدودة وكل الذى يستطيعون قوله لاعدائهم هو (تعالوا واغلبونا) . وقد بينت الدول المتحالفة

انها لا تعقد صلحا على انفراد ولا ريب بان هـذه الدول ستواصل الحرب ما دام فى قوسها منزع املا منها فى تخليص بلادها والحصول على شـروط ملائمة فالحرب يحتمل ان تستمر مدة لا يستهان بها وليس مفتاح السلم بيد حلفائنا ولكن لا بد لنا من الخروج من المأزق ٠

(٣) فيما يلى الموقف العسكرى فى تركية : قواتنا ضعيفة جـدا واذا قابلنا هذه القوات بما كانت عليه فى بدء الحرب نرى ان قوة الجيوش الكثيرة قد نقصت بمقدار ثمانين فى المائة ٠

ومصادر البلاد فى الرجال لا تكفى لتكميل هذه القوة بالجيوش وخمسون فى المائة من الفرقة الرابعة والخمسين التى ارسلت الى كانت مؤلفة من فتيان لم يبلغوا سن الرشد اذ كانت تتراوح اعمارهم بين السابعة عشـرة والعشرين وكان الباقون غير صالحين للخدمة لان اعمارهم كانت بين الخامسة والاربعين والخامسة والخمسين ٠

وغادرت افواج فرقة اخرى من احسن الفرق استانبول وكل فوج مؤلف من الف من الاشداء فوصلت تلك الافواج الى حلب وكل منها يعد خمسمائة جندى وسبب هذا سوء حظ الشعب وحالة الادارة المدنية وهذا المثل الذى اوردته يبين انه حتى اذا جمعنا كل ما لدينا من المصادر لا نستطيع ان نقوى القـوة الكافية ٠

ولا حاجـة الى ذكر النقص فى صـفوف الضـباط من حيث الكيفيـة والكمية ٠ وفى ما يلى وصف الموقف من جميع وجوهه ٠

ففى الغرب لسنا على تماس بالعدو ٠ ولكن لما كانت استانبول واقعة على طريق العالم البحرى العام وكانت اغنى ولاياتنا من المحتمل ان يضربها العدو من الغرب ٠

اما موقف القفقاس (القبق) فهو فى ركود وليس فى استطاعتنا التقـدم هناك والموقف الداخلى فى روسية واعتمادها على اوروبة يجعل التعرض من رابع المستحيلات ولكن اذا تقدم الروس لسبب من الاسباب لا نستطيع منعهم

او تهديدهم ويعمل الروس ما يستطيعونه بالوسائل المتيسرة لهم وقد اوقفوا زحفهم رغم انفهم . اما في العراق فقد استولى البريطانيون على اهدافهم لذلك اعتقد ان لا سبب سياسي او اقتصادي او عسكري يحملهم على الامعان في التقدم غير انهم اذا استمروا على التقدم شمالا وفازوا في تقدمهم فخسارة الموصل من جملة ما خسرناه لا تكون ضربة شديدة على البلاد .

ويصح القول ان خسارة الموصل لا تؤثر في الموقف العام فليس لنا في هذا الصدد الا الانتظار وترقب النتائج .

واما في جهتي الحجاز وسيناء فلما يتوصل العدو الى هدفيه السياسي والعسكري وكما نعلم انه يتخذ كل اهبته لبلوغ غايته .

وهذه هي مرامي بريطانية : انشاء دولة مسلمة خاضعة لبريطانيه وانشاء دولة نصرانية في فلسطين تحت النفوذ البريطاني وانتزاع اغنى الولايات التركية من جسم الدولة والقضاء على آخر ما لها من النفوذ الديني .

اما من جهتنا فهذا يعني القضاء على حياتنا . لذا تقضي علينا ضرورات الموقف العسكري بان نستعد لهجوم في الغرب وان نتوقع تقدم العدو الذي يستعد له على حدود سورية اما الآن والحالة على ما هي عليه فلا فائدة من التفكر في استرداد بغداد بما بقي لدينا من المصادر لان عدونا الاقرب والاقوى والاعظم استعدادا هو في سيناء فلا يمكننا الاغضاء عنه . ثم ان مشروع بغداد (اي استرجاعها) مستحيل من الوجهة الطبيعية فالجنود العاملة في الفرق المنتظر منهم ان يقوموا بهذه المغامرة هم ضعفاء وقليلو الفائدة وبعد مسير شهرين لا يبقى منهم غير الحثالة — وفي هذا القول بعض المبالغة — وشحاتيرنا وجمالنا ليست مما يقابل بسكك العدو الحديدية ومراكبهم القادمة الى بغداد واخيرا من انصع الدلائل على عقم الخطة هو انه بعد مسير يومين ستذوب الوحدات .

فماذا يكون يا ترى استنتاجاتي من دراسة الموقف هذه الدراسة القصيرة لقد تمت مرحلة واحدة من مراحل الحرب فلا نستطيع تغيير الماضي .

ولا ارى فائدة من وراء الكتابة عن اخطر النوائب التي امامنا بسائق

التشاؤم فما دامت فينا الحياة والامل علينا بالتفكير عن طريق للخروج من مآزقنا . وارى ان القرارات التى نتخذها اليوم يجب ان تنحصر فيما يلى :-

(١) تقوية الادارة الداخلية والمحافظة على حياة الناس (تقوية ضباط للدرك وتنظيم العدلية والتجارة ومواد الطعام بقدر الامكان ومنع الرشوة) او على الاقل حصرها فى اضيق حدودها لكى تحصل البلاد على اساس متين وسليم تشتغل عليه .

واذا ادى طول الحرب الى زيادة المصاعب والنكبات النازلة علينا نكون على الاقل مستندين الى بلادنا وشعبنا ولا يجوز ان نجعلهم قصبة مرضوضة .

(٢) ينبغى ان تكون سياستنا العسكرية دفاعية وان نغذى كل احتياط متيسر لنا تغذية قوية .

ولا يجوز ان نسمح لجندى احتياطى واحد ان يخدم فى خارج الانبراطورية . ولا يمكننا ان نقرر اليوم قضية جبهة سيناء من حيث امكان المحافظة على سلامتها بالهجوم او الدفاع .

ومن المستحيل ان نتوقع وصول جميع نجداتنا الى سيناء قبل مضى أشهر ومن المحتمل ان يحاول العدو الحصول على فوز فاصل على قطعاتنا الموجودة الآن امامه قبل وصول النجدات ثم انه فى الوقت الذى نرسل القطعات الى الجبهة يستطيع الانبريطانيون ايضا الحصول على نجدات اكثر بمساعدة مواصلاتهم الكاملة وبالنتيجة انه على فرض عدم هجوم العدو الآن من المحتمل اننا سنكون دونه فى القوة بعد تحشدنا . ولما كان من المستحيل ان نعرف متى تصل قطعاتنا من حلب الى جبهة سيناء فمن الضرورى اصدار الاوامر بارسال الجيش السابع فورا اما القول الآن بكيفية استخدام هذه القطعات اخيرا باعظم اقتصاد فذلك غير ممكن بناء على دراسة الخرائط ومن الوجهة العسكرية وعند ارسال الجيش السابع الى الجنوب فاحسن طريق للتخلص من مآزقنا هى :-

الى الآن كانت سورية والحجاز برمتهما قيد اوامر مسلم عثمانى وقد عهد بالحركات العسكرية فى سيناء بصورة مستقلة الى مسلم آخر اما مصلحة البلاد

فتقتضى هذا النوع من القيادة وانى اقتنع ان مجىء فولكنهاين وادارته شؤون الحوادث المقبلة وتثبيت مركز (فون كراس) واخيرا نفوذ الالمان السائد هذه جمعا امور تنافى مصالح الدولة • ولا اعتقد اننا سنحرم رأيا فى القضايا المتعلقة بحياة الشعب ولا فولكنهاين نفسه يقوم بعمل مضر بمصالح الدولة حين انجاز واجباته ولكن اذا تم الدفاع عن سيناء بجيشين احدهما يقوده فون كراس والآخر يقوده قائد الجيش السابع وتولى فولكنهاين القيادة العليا لا يكون ذلك فى مصلحة البلاد فيمكن تحاشى جميع الصعوبات اذا كان الجنرال فولكنهاين تحت قيادة القائد المسيطر على سورية والحجاز وبهذا التدبير يكون الموظف الاعلى تركيا مسؤولا امام حكومتنا وبيده جميع الشؤون الداخلية السياسية والادارية اما فولكنهاين فيتولى قيادة منحصرة فى المسائل العسكرية فقط وتكون خطوط المواصلات وادارة المقاطعات والاعاشة والساحات التى وراء الجبهة بيد رجل من بنى جنسنا •

اما فيما يتعلق ببقائى فى قيادة الجيش السابع فكنت حتى الآن قائد جيش مستقل فاذا اقتضت مصالح البلاد لا اعترض على انزالى الى مرتبة احط •

ولكن هناك نقطة دقيقة يجب النظر فيها اولا وهى انه عند ارسال الجيش السابع ستؤدى الحركات المقبلة الى اختلاط قطعاتى بقطعات (فون كراس) فمن خرق السياسة تعيين قطعات لكل قائد فالافضل وضعهم جميعا عند وصولهم تحت قيادة فون كراس فيكون مقر جيشى والحالة هذه زائدا لا حاجة اليه فيتسلم فون كراس قيادة جميع القطعات فى الميدان تدريجا •

فاذا نشأ الموقف على هذا الوجه فى المستقبل واقتضت مصلحة البلاد ذلك فانى لا استطيع حينئذ ان اقف موقف المتفرج • وسيكون واجبى منحصرا فى قيادة اصغر قسم من الجبهة بلا تردد بشرط ان تكون قطعاتى مستقلة فى عملها فلا بد من البت فى هذه المسألة •

واذا لم تسلم ادارة سورية الى فولكنهاين ثقوا دولتكم اننى لا اعترض

سبيل الالمان بوجه من الوجوه مع انه من الضرورى التخلص من المأزق الذى تورطنا فيه فى مرافقة الالمان لاننى اخالف سياستهم التى ترمى الى الاستفادة من ضعفنا واطالة الحرب ليجعلونا مستعمرة المانية ويستثمروا جميع مصادرنا فعلى حكومتنا ان تكون غيورة ومستقلة كالبلغار وثقوا انه متى فهم الالمان اننا نريد حماية استقلالنا يحترموننا اكثر من احترامهم البلغار اما بقاؤنا متنحين عن المداخلة فى الامور دوما فلا يكون ذلك باعثا على احترام الحليف وانصافه ولا سيما مع قوم كالالمان ٠

فكلما اعطيناهم شيئا اخذوا اكثر وهذا فولكنهاين نفسه فانه حتى الآن يجرؤ على القول انه المانى قبل كل شىء آخر وانه يجب عليه ان ينظر فى مصالح المانية اولا ولا يمكن ان نغض الطرف عن مغزى السياسة الالمانية والمصالح الالمانية فى حلب وسورية وعلى ضفاف الفرات فاذا كان فى استطاعة قائد المانى ان يأمر الترك بان يموتوا بالالوف فليس فى ذلك كما لا يخفى رعاية لمصالح الدولة ومنذ اليوم الذى وصل الفولكنهاين ارسل ضباطا المانين برتبة ملازمين الى رؤساء العشائر لينشئوا بينهم العلاقات رأسا وقد صرح لى :

ان العرب هم اعداء الترك ففى استطاعتنا ان نكتسب صداقتهم اذا كنا على الحياد ٠

هذا ما قاله لى فولكنهاين وانا قائد جيش ٠ فلما فهم فى اول وهلة ان مشروع العراق كان عقيما وضع استثمار البلاد نصب عينه وفى الحقيقة انه وضع بلاد العرب برمتها تحت الحماية الالمانية ٠

وقد بدأ الآن الصفحة الثانية من خطته فبعد ان ترك هدفه فى العراق اخذ الآن يبحث فى امر الهجوم فى سيناء ففى اى شىء سينجلى الامر بعد شهرين ؟

هل سيكون ذلك دفاعا ام هجوما ؟ اما التكلم عن التعرض فليس سوى حجة جذابة يؤمل منها الالمان الاستيلاء على سورية وبلاد العرب فاذا تبين فى خلال شهرين ان التعرض غير ملائم وان الدفاع عن فلسطين بجميع

القطعات العسكرية ممكن لاشك اننا سنكون مدينين جدا لفونكانهين اذا تم له الفوز المبين .

ولكن في تلك الحالة ستفلت الحكومة والبلاد من يدنا فنمسى مستعمرة المانية وتوخيا لهذه الغاية يسرف فولكنهاين في الذهب الذى في خزانتنا ويسفك دم بقية الترك الذين يمكن الحصول عليهم من الاناطول اما الواقع الآن فهو ان اعظم مسألة حيوية يمكن ان نسألها هي : ماذا الذى يجرى في الادارة المدنية او بين الشعب اما مصلحتنا فهى حماية البلاد واذا اعطيت حتى زاوية واحدة منها ليسودها النفوذ والادارة الاجنبيان كان في ذلك القضاء على حياة الانبراطورية .

هذه آرائي واشعر كان حملا ثقيلا قد وقع عن رأسى .

في ٣٠ ايلول سنة ١٩١٧

مصطفى كمال قائد الجيش السابع

الملحق الثاني

تابع ص ٧٤

حفظت لنا الادبيات العربية القصيدة الآتية التي ترينا بها (ليلى بنت لكيز) شيئاً من احوال العرب في العراق ننشرها لتكون ذكرى لابناء يعرب :

ليت للبراق عينا فترى ... ما ألاقي من بلاء وعنا

يا كليبا وعقيلا اخوتي ... يا جنيدا اسعدوني بالبكا

عذبت اختكمو يا ويلكم ... بعذاب النكر صبحا ومسا

غللوني قيدوني ضربوا ... ملمس العفة مني بالعصا

يكذب الاعجم ما يقربني ... ومعي بعض حشاشات الحيا

قيدوني غللوني وافعلوا ... كل ما شئتم جميعا من بلا

فانا كارهة بغيكم ... ويقين الموت شيء يرتجى

يا بني كهلان يا اهل العلا ... اتدلون على الاعجما

يا ايادا خسرت ايديكمو ... خالط المنظر من برد عمى

فاصطبارا وعزاء حسنا ... كل نصر بعد ضر يرتجى

اصبحت (ليلى) يغلل كفها ... مثل تغليل الملوك العظما

وتقيد وتكبل جهرة ... وتطالب بقبيحات العنا

قل لعدنان هديتم شمروا ... لبني مبغوض تشمير الوفا

واعقدوا الرايات في اقطارها ... واشهروا البيض وسيروا لي ضحا

يا بني تغلب سيروا وانصروا ... وذروا الغفلة عنكم والكرى

احذروا العار على اعقابكم ... وعليكم ما بقيتم في الدنى

الملحق الثالث

تابع ص ١١٣

ننشر فيما يلى اسماء الاماكن التى وردت فى خريطة ابن سرابيون المنشورة فى آخر الكتاب :

١ ــ قصر الثريا
٢ ــ باب سوق الدواب
٣ ــ باب عمار
٤ ــ دار البانوقة
٥ ــ باب المقير الكبير
٦ ــ دار ابن الخصيب
٧ ــ شارع سعد الوصيف
٨ ــ سوق العلافين
٩ ــ طريق محلة المخرم وبابها وقنطرة العباس
١٠ ــ قنطرة الانصار
١١ ــ حوض الانصار وحوض هيلانة وحوض داود
١٢ ــ الدرب الطويل
١٣ ــ قصر المعتصم
١٤ ــ سوق العطش
١٥ ــ طريق كرم المعرش
١٦ ــ دار الوزير ابن الفرات
١٧ ــ الشارع الاعظم
١٨ ــ شارع عمرو الرومى
١٩ ــ بستان الزاهر
٢٠ ــ باب ابرز
٢١ ــ باب سوق الثلاثا

٢٢ ـ قصر الفردوس

٢٣ ـ باب قطيعة موشجين

٢٤ ـ باب العامة

٢٥ ـ القصر الحسنى

٢٦ ـ قصر التاج

٢٧ ـ باب خراسان فى الجانب الشرقى

٢٨ ـ قنطرة البردان وباب البردان

٢٩ ـ باب الشماسية

٣٠ ـ سويقة جعفر وشارع نهر المهدى

٣١ ـ دار الروميين

٣٢ ـ سويقة نصر بن مالك وابواب الحديد

٣٣ ـ قصر الرصافة وجامع الرصافة وبستان حفص

٣٤ ـ شارع باب خراسان

٣٥ ـ قنطرة العباس

٣٦ ـ قنطرة الصينيات

٣٧ ـ قنطرة رحى البطريق

٣٨ ـ القنطرة العتيقة وباب الكوفة

٣٩ ـ القنطرة الجديدة وباب البصرة

٤٠ ـ قصر الخلد بين باب خراسان فى الجانب الغربى وجسر الزواريق

٤١ ـ طريق الانبار وقنطرة الانبار وباب الانبار

٤٢ ـ باب الحديد وقنطرة الحديد

٤٣ ـ باب حرب وقنطرة حرب وطريق حرب

٤٤ ـ باب قطربل وقنطرة رحى ام جعفر فى قطيعة الزبيدية

٤٥ ـ دار اسحق الطاهرى

٤٦ ـ باب أبى قبيصة

٤٧ ـ قنطرة درب الحجارة

٤٨ ـ البيمارستان وقنطرة البيمارستان

٤٩ ـ باب المحول

٥٠ ـ ربض حميد

٥١ ـ سويقة أبى الورد

٥٢ ـ بركة زلزل

٥٣ ـ طاق الحرانى

٥٤ـ شارع القحاطبة

٥٥ ـ باب الشام

٥٦ ـ الطريق المفضى الى جسر الزواريق الاعلى

٥٧ ـ الدرابات (الضرابات) ؟

٥٨ ـ رحي أبي القاسم

٥٩ ـ محلة الواسطيين

٦٠ ـ الخفقة

٦١ ـ شارع المنصور

٦٢ ـ دار كعب

٦٣ ـ باب محلة الكرخ

٦٤ ـ محلة البزازين ومحلة الخرازين او (الجزارين)

٦٥ ـ محلة اصحاب الصابون

٦٦ ـ دار الجوز

٦٧ ـ مربعة الزيات

٦٨ ـ محلة اصحاب القنى

٦٩ ـ محلة اصحاب القصب

٧٠ ـ شارع القيارين

٧١ ـ محلة اصحاب الطعام

٧٢ - دوارة الحمار
٧٣ - قطيعة الكلاب
٧٤ - مربعة صالح
٧٥ - محلة السواقين
٧٦ - مشرعة الآس
٧٧ - دار البطيخ
٧٨ - شارع الكبش
٧٩ - عبارة الكرخ وطريق دجيل
٨٠ - مربعة الفرس
٨١ - دكان الابناء
٨٢ - قنطرة أبي الجون
٨٣ - كتاب اليتامى
٨٤ - مربعة شبيب
٨٥ - طريق هانى وقصر هانى
٨٦ - بستان القس
٨٧ - شارع دار ابن أبي عون
٨٨ - مربعة أبي العباس
٨٩ - القنطرة الياسرية
٩٠ - قنطرة الرومية
٩١ - قنطرة الزياتين
٩٢ - قنطرة الاشنان
٩٣ - قنطرة الشوك
٩٤ - قنطرة الرمان
٩٥ - قنطرة المغيض
٩٦ - قنطرة البستان
٩٧ - قنطرة المعبدى
٩٨ - قنطرة بنى زريق
٩٩ - قصر عيسى

الملحق الرابع

تابع ص ١١٧

اهتمام العرب بالورق

على الرغم من كثرة اعادى العرب فى الشرق وفى الغرب وفى الشمال وفى الجنوب فان التأريخ العالمى سجل للامة العربية ما يأتى : (انها الواسطة لانتشار الثقافة بين شعوب الفرس والروم واوربة وامريكا لانها نقلت صناعة الورق من الصين الى بغداد فالشام فالاندلس) .

نعم ان التأريخ سجل لها ذلك لانها بزت الامم قديمها وحديثها فيما قررته من رفع الامية بين بنيها ووجوب تعليمهم كافة لان الدين الاسلامى الذى انتشر من الجزيرة العربية المباركة فرض على كل مسلم الصلاة خمس مرات فى كل يوم ومن لوازم الصلاة ان يقرأ فيها ما تيسر من القرآن الكريم الذى هو كتاب العرب القومى . فصناعة الورق فى الصين قديمة وتخوم الصين كانت قريبة الى بلاد الفرس لان المنطقة التركية الشمالية كانت مستعمرة صينية يومئذ .

وبالرغم من قرب التخوم الصينية الى بلاد الفرس فانهم لم يفكروا فى نقل تلك الصناعة الى بلادهم لتعميم الثقافة بين كافة الطبقات لان مدنيتهم تخالف مدنية العرب التى رأت ضرورة تعميم الثقافة .

والناس من القديم فى حاجة الى شيىء يكتبون فيه كتبهم المقدسة ويسجلون فيه معاملاتهم وعقودهم وعهودهم وبراءة الذمة ومآثرهم التأريخية والقومية .

وقد اختلفت الامم فى كيفية تسجيل ذلك فالبابليون كانوا يكتبون على الآجر النى ويسمونها (لوحة) والمصريون استعملوا الورق البردى والهنود كانوا يكتبون فى لحاء الشجر المعروف بالكاذى ويكون هذا الشجر بارض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن طيب لحاؤه ارق من

الورق الصينى تتكاتب فيه ملوك الصين والهند (١) .

وكانت الفرس تكتب فى الجلود والرق وتقول لا يكتب فى شيء ليس فى بلادنا (٢) واما العرب فكانوا (٣) يجعلون الكتاب حفرا فى الصخور ونقشا فى الحجارة وحلقة مركبة فى البنيان فربما كان الكتاب هو الناتيء وربما كان الكتاب هو الحفر اذا كان تاريخا لامر جسيم او عهدا لامر عظيم او موعظة يرتجى نفعها او احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مأرب وعلى الركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها .

يعمدون الى الاماكن المشهورة والمواضـع المذكورة فيضعون الخط فى ابعد المواضع من الدثور وامنعها من الدروس واجدر ان يراها من مر بها ولا تنسى على وجه الدهر .

واقول : لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكوكات وكل اقطاع وكل اتفاق وكل امان وكل عهد وعقـد وكل جوار وحلف ولتعظيـم ذلك والثقة به والاستفاد اليه كانوا يدعون فى الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيما للامر وتبعيدا من النسيان ولذلك قال الحارث بن حلزة فى شأن بكر وتغلب :

واذكروا حلف ذى المجاز وما قدم فيـه من العهود والكفلاء

حـذر الجور والتعـدى وهل ينقض ما فـى المهارق الاهواء

والمهارق ليس يراد بها الصحف والكتب ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب دين او كتب عهود وميثاق وأمان . (انتهى)

وقد حفظت لنا الادبيات العربية ما كانت تستعمله العرب لكتابة العهود وتسميه (المهارق ج مهرق) وقد ذكر ذلك (عارق الطائى) شاعر الحماسة ويقصد الشاعر بكلمة المهارق كتب العهد والذمة التى اعطاها (المنذر ابن هند)

(١) مروج الذهب ج ١ ص ٢٢٦ .

(٢) الجهشيارى ص ١٠٠ .

(٣) الجاحظ فى كتاب الحيوان ج ١ ص ٣٥ .

ويقول التبريزى الشيبانى فى شرحه : وكانت العرب تصقل الثياب البيض ونكتب فيها كتب العهود وما ارادوا بقاءه من الدهر (٤) .

ويقول صاحب التاج (المهرق) ثوب حرير ابيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه وفى شرح معلقة الحرث بن حلزة كانوا يكتبون فيها قبل القراطيس بالعراق وهو بالفارسية (مهره كرد) وانما قيل ذلك لان الذى يصقل بها يسمى (مهره) .

اما ما كان يستعمله (الفتى العربى) فى جزيرته القاسية لما ظهـر الدين الاسلامى واحدث حركة فكرية مدوية فانا نذكر ما قصـه الامـام الشافعى وحكاه عن نفسه فقال : كنت انا فى الكتاب اسمع المعلم يلقن الصبى الآية فاحفظها انا ولقد كنت - ويكتبون ائمتهم (٥) فالى ان يفرغ المعلم من الاملاء عليهم - قد حفظت جميع ما املى فقال لى ذات يوم : ما يحل لى ان آخذ منك شيئا .

ثم يقول : لما خرجت من الكتاب كنت اتلقط الخزف (٦) والدفوف (٧) وكرب النخل (٨) واكتاف الجمال (٩) اكتب الحديث واجىء الى الدواوين فاستوهب منها الظهور (١٠) فاكتب فيها حتى كانت لامى حباب فملأتها اكتافا وخزفا وكربا مملوءة حديثا ...... (١١) .

ترينا هذه الحكاية كل ما يملكه العرب من وسائل الكتابة والتسجيل يومئـذ .

والذى يظهـر ان الورق كان سميكا جـدا لانهم استعملوا له كلمـة

---

(٤) الحماسة ج ٤ ص ٢٦٢ .

(٥) الائمة ج امام وهو ما يتعلمه الغلام كل يوم من القرآن .

(٦) الآجر وكل ما عمل من طين وشوى حتى يكون فخارا .

(٧) الجلود التى يعمل منها الطبل ج دف .

(٨) اصول السعف الغلاض العراض التى تقطع منها .

(٩) عظم عريض خلف المنكب .

(١٠) اى الاوراق .

(١١) معجم الادباء ج ١٧ ص ٢٨٢ .

(القرطاس) وقد اتت في اللغة بمعنى (كل اديم ينصب للنضال) ومعنى ذلك انه يوضع هدفا لتعليم الرمي عليه وقد ذكر الشاعر الجهضمي في بيعة العرب لنصر بن سيار في خراسان في سنة ١٢٦ ما يأتي :

فنحن على عهدنا نستديم ... قريشا ونرضى باحلافها

سنرضى بظلك كنا لنا ... وظلك من ظل اكنافها

لعل قريشا اذا ناضلت ... تقرطس ... في اهدافها(١٢)

اما سيدنا (الحجاج) فانه كان يستعمل الورق الصيني (١٣) .

ومن الطبيعي ان يستعمل الورق الصيني لانه ارسل قائدين (محمد بن القاسم الثقفي) لفتح الصين من طريق السند و (قتيبة بن مسلم الباهلي) لفتحها من طريق الترك .

واما ابو جعفر المنصور باني مدينة بغداد فانه كان يستعمل القراطيس المصرية (١٤) .

لنأت الآن الى عمل العرب في نقل الصناعة هذه من الصين !

ذكرت المصادر الفرنجية التي تبحث في تركستان القديمة ان أبا مسلم الثائر على الامويين عين أبا داود خالد بن ابراهيم الشيباني عاملا على بخارى وكان معه اذ ذاك (زياد بن صالح الخزاعي) احد النقباء فحارب الصينيين الذين كانوا تحت قيادة (كاو - هسن - جيج) في تموز من سنة ٧٥١ للميلاد فاسر يومئذ رجلا من الصين صنعته عمل الورق فأخذه الى سمرقند وتعلم السمرقنديون صنع الورق فانتشرت الصناعة من سمرقند الى بغداد فالشام فالاندلس فاوروبة فامريكا .

انتشرت الصناعة هذه زمن العباسيين وكانت عاصمة الدولة العباسية مدينة بغداد فاراد المعتصم في ابتداء سنة ٢٢١ للهجرة ان ينوع العمل وان يكثر الايدي العاملة فيه وفي غيره فقد روى اليعقوبي ان المعتصم حمل الى سامرا

---

(١٢) الطبري ج ٩ ص ٣٣ .

(١٣) الخطيب ج ٨ ص ١٣٥ .

(١٤) الجهشياري ص ١٠٠ .

الناس من كل بلد وامرهم ان يعمروا عمارة بلدهم وحمل قوما من ارض مصر يعملون القراطيس فعملوها فلم يأت فى تلك الجودة (١٥) ولما عادت الخلافة الى بغداد انتشرت الصناعة فى بغداد انتشارا عظيما فسمى احد دروب بغداد بدرب اصحاب القراطيس بالكرخ (١٦) .

ولم يكتف البغداديون فى نشر صناعة الكاغد خدمة للمدنية فحسب بل انهم اجادوا صنعها حتى اشتهر الكاغد البغدادى بالجودة كما ذكر ذلك القلقشندى .

---

(١٥) ج ٢ ص ٥٧٧ .

(١٦) الخطيب ج ٩ ص ٨٦ .

تصويب الخطأ

ص	س	الخطأ	الصواب
٣	١٨	اكثراتهم	اكتراثهم
٨	٩	الله عليه وسلم	الله صلى الله عليه وسلم
٩	٢٢	البيقهي	البيهقي
٢٣	٢٢	الى	الا
٢٨	١٢	بهاتتين	بهاتين
٢٩	٢٠	حفظلة	حنظلة
٣٠	٤	و (فضيلة)	و (فضيلته)
٢٣	٧	يزدجر	يزدجرد
٣٤	١٥	وهد	وقد
٦٥	١٥	السياسة	السياسية
٧٤	٧	للمدينات	للمدنيات
٧٧	١٦	الابيية	الأبية
١٢٧	١١	في وقتتا	في وقتنا
١٢٩	١١	ونحرفه	ونحرقه
١٣٧	١٢	ولما يمضى	ولما يمض
١٣٩	٢٤	١٩٢٧	١٩٣٧
١٤٢	٨	بواسون	بيزاسون
١٧٣	١	لفونسكانهين	لفولسكانهين



